مقاصد الشريعة الإسلامية
في سورة مريم
(دراسة موضوعية)

الباحث

د/ عبد الرحمن صالح الجيران

الأستاذ المساعد بقسم الدراسات الإسلامية
بالهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب
بدولة الكويت

مقاصد الشريعة الإسلامية في سورة مريم دراسة موضوعية

عبد الرحمن صالح الجيران
قسم الدراسات الإسلامية، بالهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب بدولة الكويت.
البريد الإلكتروني: abdelrahmanelgayran@gmail.com

ملخص البحث

الحمد لله رب العالمين، أنزل كتابه هدى ونورا وبينات من الهدى والفرقان، وسورة مريم سورة مكية حوت عدة مقاصد شرعية، وأهمها:

إثبات توحيد الله تعالى، وتنزيهه عن الولد إذ أن توحيد الله هو الأصل الذي لا يُقبل من الإنسان أيّ عملٍ إن أخل به، والشرك أعظم الذنوب على الإطلاق؛ فلو جاء الموحّد ربّه يوم القيامة بقراب الأرض خطايا إلا أنّه لا يشرك به شيئاً، لجاءه بقرابها مغفرة، لو أشرك به شيئا لحبط عمله، ولم يغفر ذنبه قال تعالى:(إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ).

ومن المقاصد فيها نفي اتخاذ الولد لله، وبيان بطلان عقائد اليهود والنصارى والمشركين في زعم اتّخاذ الله تعالى للولد، قال تعالى: {لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا، تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا،أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا، وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا}، فبين آثار ذلك الادعاء الباطل على الكون؛ إذ إنّ السماوات تكاد تتفطر، وتسقط على الأرض، وتتصدّع الأرض وتتقطّع إلى أجزاء، وتهد الجبال من شدّة هذا الادعاء الذي يكاد يدمّر الدنيا بما فيها.

ومن المقاصد فيها، إثبات قضية البعث يوم القيامة، والرد على اليهود الذين اتّهموا مريم-عليها السّلام- بالفاحشة قال تعالى: {فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ ۖ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا}، فردّ الله تعالى عليهم ونفى أن تكون ولادة عيسى -عليه السّلام- أمراً ناتجاً عن سِفاح، أو زنا، أو زواج، وإنّما كان خلقه كخلق آدم عليه السّلام، حيث قال تعالى :{إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ۖ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ}، فعيسى خُلق بقول الله: كن فيكون.

الكلمات المفتاحية: مقاصد، الشريعة، سورة مريم، دراسة، موضوعية.

The objectives of Islamic law in Surat Maryam, an objective study

Abdul Rahman Saleh Al Jeeran
Department of Islamic Studies, Public Authority for Applied Education and Training in the State of Kuwait.
E-mail: abdelrahmanelgayran@gmail.com

Abstract

Praise be to God, Lord of the worlds. His book was revealed as guidance and light and clear proofs of guidance and the criterion, and Surah Maryam is a Meccan surah which contains several legal purposes, the most important of which are:

Among the purposes in it is to deny that the child was taken for God, and to clarify the falsehood of the beliefs of the Jews, Christians and polytheists in the claim that God Almighty took the child. The Almighty said: {You have come to a long time, the heavens almost break the fast from it, breathe the earth, and the mountains are treated.

Explain the effects of that false claim on the universe; For the heavens are almost crumbling and falling to the earth, and the earth is cracking and severing into pieces, and the mountains are being razed by the severity of this claim, which almost destroys the world and what is in it.

Among the purposes in it is to prove the issue of the resurrection on the Day of Resurrection, and to respond to the Jews who accused Mary - peace be upon her - of immorality. The Almighty said: {So her people brought him to carry him. They said, “Oh, Mary, you have brought something unique.”

God Almighty replied to them and denied that the birth of Jesus - peace be upon him - was a result of incest, fornication, or marriage, but his creation was like that of Adam, peace be upon him, where the Almighty said {Indeed, the likeness of Jesus before God is that of Adam, when He created him from dust, then said to him, Be, and he is} Jesus was created by the word of God: Be, and he is.

Keywords: Objectives, Sharia, Surat Maryam, Study, Objective.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، أنزل كتابه هدى ونورا وبينات من الهدى والفرقان، وسور مريم سورة مكية حوت عدة مقاصد شرعية وأهمها:

إثبات توحيد لله تعالى، وتنزيهه عن الولد إذ أن توحيد الله هو الأصل الذي لا يُقبل من الإنسان أيّ عملٍ إن أخل به، والشرك أعظم الذنوب على الإطلاق؛ فلو جاء الموحّد ربّه يوم القيامة بقراب الأرض خطايا إلا أنّه لا يشرك به شيئاً، لجاءه بقرابها مغفرة، لو أشرك به شيئا لحبط عمله، ولم يغفر ذنبه قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ}.

ومن المقاصد فيها نفي اتخاذ الولد لله، وبيان بطلان عقائد اليهود والنصارى والمشركين في زعم اتّخاذ الله تعالى للولد، قال تعالى: {لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا، تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا،أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا، وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا}، فبين آثار ذلك الادعاء الباطل على الكون؛ إذ إنّ السماوات تكاد تتفطر، وتسقط على الأرض، وتتصدّع الأرض وتتقطّع إلى أجزاء، وتهد الجبال من شدّة هذا الادعاء الذي يكاد يدمّر الدنيا بما فيها.

ومن المقاصد فيها، إثبات قضية البعث يوم القيامة، والرد على اليهود الذين اتّهموا مريم –عليها السّلام– بالفاحشة قال تعالى: {فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۖ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا} ، فردّ الله تعالى عليهم ونفى أن تكون ولادة عيسى –عليه السّلام– أمراً ناتجاً عن سِفاح، أو زنا، أو زواج، وإنّما كان خلقه كخلق آدم عليه السّلام، حيث قال تعالى: {إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ۖ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ}، فعيسى خُلق بقول الله: كن فيكون.

ومن المقاصد الواردة في سورة مريم قصة سيدنا زكريا الذي رزقه الله الولد بعد أن بلغ من الكبر عتيا، حيث ذكر الله تعالى زكريا عليه السّلام الذي كان

كفيلاً لمريم –عليها السّلام– وأسرته التي تُعتبر أسرةً مباركةً، ومن سلالة الأنبياء عبر العصور، وابنه يحيى –عليه السّلام– الذي تجمعه صلة قرابةٍ بعيسى –عليه السّلام– فهما أبناء خالةٍ، وفي ذلك رسالةٌ مفادها أنّ عيسى –عليه السّلام– آيةٌ من آيات الله تعالى ورسولٌ من رسله، وليس كما يزعم النصارى بأنه ابن الله أو أنه الله أو هو ثالث ثلاثة، وفي هذا البحث سنتحدث عن هذه المقاصد الشرعية، ونبيها بما يفي بالغرض ويحقق المقصد من غير إسهاب ولا إخلال.

أهمية البحث:

تأتي أهمية البحث في المقاصد الشرعية لسورة مريم؛ لتعلقها بعقيدة المسلم الراسخة في الله تعالى وتنزيهه عن الولد والشريك، وقدرته المطلق التي لا يعجزها شيء في الخلق والإيجاد، والبعث والنشور والجزاء والحساب للعباد، النابعة من كمال الإلهية في إيجاد المبدأ والمعاد للخلق، ومجازاتهم كل بحسب عمله عدلا منه وفضلا سبحانه.

دواعي البحث:

الدواعي الباعثة لأجرائي هذا البحث هي الرغبة والضرورة الملحة لإبراز مقاصد هذه السورة الكريمة لأهميتها القصوى بعقيدة المسلم بالله وتنزيهه عما ينقص من كماله وجلاله وهو كالآتي:

١– مقاصد التوحيد من هذه السورة المكية.

٢– القدرة المطلقة لله في خلقها ما يشاء وكيف شاء.

٣– البعث والنشور للعباد ومجازاتهم وحسابهم على أعمالهم.

٤– مبدأ الجزاء والحساب للعباد في الدنيا والأخرة.

٥– ثمرة الطاعة في الدنيا ولأخرة.

الدراسات السابقة:

هناك دراسات لهذه السورة كثيرة، منها في بيان فضائلها ومنها لمسات بيانية لألفاظها ومنها دراسة مقاصدية لها، ونكتفي بعرض كتابين؛ لتعلقهما بالموضوع أو مقاربتهما لموضوع بحثنا وهما:

١-الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب الحادي والثلاثين من القرآن الكريم (سورة الكهف من الآية (٧٥) إلى أخر سورة مريم)، للطالبة خديجة حسن المطوق، وهذا الكتاب دراسة مقاصدية تفصيلية شاملة لمناحٍ كثيرة لسورة مريم، منها مثلا: علاج النفساء بالرطب، والأخذ بالأسباب، وحقيقة العبودية لله، والبر للوالدين، واختلاف الأحزاب في عيسى عليه السلام، ومنهج الأنبياء في الدعوة، والعقوبات لتارك الصلاة، ووصف الجنة والنار، وتقرير الحساب يوم القيامة، ونفي النصرة والشفاعة للمشركين، ومحبة الله لأوليائه، تميز البحث بالحديث عن كل الآيات ومقاصدها الشرعية.

٢-سورة مريم دراسة تفسيرية بيانية، للدكتور الصافي صلاح الصافي، وتناول فيها الدراسة البيانية لبعض الآيات من سورة مريم ابتدأ من قوله: فحملته فانتبذت به مكانا قصيا، إلى قوله إنا نحن نرث الأرض ومن عليها.

وبحثنا هذا تميز عن البحث الأول بتحديد بعض المقاصد الشرعية الهامة في السورة، والتي تناولها بشكل وافي من غير إسهابٍ مملٍ أو اختصارٍ مخلٍ؛ حتى ترسم للقارئ خارطة ذهنية لأهم مقاصد السورة الكريمة.

وتميز عن البحث الثاني بأنه شمل بعض المعاني البيانية لبعض الآيات وتناول مقاصدها فكان أعم وأوفي للمطلوب.

منهجي في البحث:

اعتمد الباحث في هذا البحث المنهج الاستقرائي التحليلي، وكان عمل

الباحث فيه كالآتي:

١- جمع الأدلة وتحليلها.

٢- عزو الآيات باسم السورة ورقمها بالرسم والعثماني للمصحف.

٣- عزو المعلومات من مصادرها مع ذكر طبعة الكتاب ودار النشر وتاريخ النشر، فإن لم يوجد أذكر في المراجع بأنه بدون طبعة ولا دار نشر ولا تاريخ نشر.

أهداف البحث:

١-معرفة مقاصد التوحيد من هذه السورة المكية.

٢-بيان القدرة المطلقة لله في خلقها ما يشاء كيف شاء.

٣-إثبات البعث والنشور للعباد ومجازاتهم على أعمالهم.

٤-بيان مبدأ الجزاء والحساب للعباد في الدنيا والأخرة.

٥-بيان ثمرة الطاعة في الدينا ولأخرة.

خطة البحث:

الفصل الأول: مقاصد السورة، ويشتمل على مباحث:

المبحث الأول: مقاصد الشريعة

المبحث الثاني: مقاصد التوحيد

المبحث الثالث: الرغبة والرهبة في إثبات البعث والنشور

المبحث الرابع: بذل الأسباب لتحقيق التوكل على الله

المبحث الخامس: هلاك الأمم السابقة

الفصل الثاني: فضائل الأعمال، وفيه مباحث:

المبحث الأول: على قدر أهل العزم تأتي العزائم (الذرية الصالحة)

المبحث الثاني: إحسان الظن بالله – خوارق العادات

المبحث الثالث: ثمرة الطاعة

الخاتمة: أهم النتائج من البحث، والتوصيات

المراجع

الفصل الأول

مقاصد السورة

ويشتمل على مباحث:

المبحث الأول: مقاصد الشريعة

المبحث الثاني: مقاصد التوحيد

المبحث الثالث: الرغبة والرهبة في إثبات البعث والنشور

المبحث الرابع: بذل الأسباب لتحقيق التوكل على الله

المبحث الخامس: هلاك الأمم السابقة

المبحث الأول: مقاصد الشريعة

قبل الحديث عن مقاصد السورة لابد أن نعرف المقاصد الشريعة وتقسيماتها بشكل موجز، فمقاصد الشريعة ثلاثة أقسام:

١- الضرورية: هي التي لا بد منها لقيام مصالح الدين والدنيا، بحيث إذا فقدت لم تجر مصالح الدنيا على استقامة، بل على فساد وتهارج وفوت حياة، وفي الآخرة يكون فوات النعيم والرجوع بالخسران المبين، وهي الكليات الخمس.

٢- الحاجية: فهي ما يفتقر إليها من حيث التوسعة ودفع الضيق المؤدي في الغالب إلى الحرج والمشقة اللاحقة بفوت المطلوب، فإذا لم تراع دخل على المكلفين- على الجملة- الحرج والمشقة دون اختلال شيء من الضروريات الخمسة.

٣- التحسينية: فهي الأخذ بما يليق من محاسن العادات، ويجمع ذلك مكارم الأخلاق والآداب الشرعية.[١]

***

(١) -القاموس المحيط، لمجد الدين أبي طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م ص (١٥٣٥)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، لأحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ)، الناشر: المكتبة العلمية – بيروت ص (٥٢)، المستصفى في علم الأصول، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى : ٥٠٥هـ)، المحقق : محمد بن سليمان الأشقر، الناشر : مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة : الأولى، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م (١/ ٢٨٦، ٢٩٠)، روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام= =أحمد بن حنبل، لأبي محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٢٠هـ)، الناشر: مؤسسة الريّان للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م ص(٧٦، ٧٧)، الموافقات، لإبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: ٧٩٠هـ)، المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر: دار ابن عفان، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.(٢/ ٨، ١١).

المبحث الثاني: مقاصد التوحيد

١-قال تعالى: {إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا، قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا، وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا، يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا} [مر يم: ٣-٦].

من أنواع التوحيد لله توحيد الألوهية والذي يتجلى بأفعال العباد وتمثل في هذه الآيات بالدعاء وتميز بإخلاصه بالخفاء وله مقاصد شرعية تحصل فيه مصالح العبادة وتحقق حظوظهم بتحقيق التوحيد، من محبة الله والإكثار من ذكره ومعرفته، وإجابة الدعاء والحصول للولد الذي ينشر دعوة التوحيد من بعده ويُعبد العباد لطاعة الله:

وقد بين السعدي هذه المقاصد فقال عن الدعاء: بأنه سبب تحصل به، ما يدعو إلى محبة الله تعالى، والإكثار من ذكره ومعرفته، والسبب الموصل إليه، وذلك أن الله تعالى اجتبى واصطفى زكريا عليه السلام لرسالته، وخصه بوحيه، فقام بذلك قيام أمثاله من المرسلين، ودعا العباد إلى ربه، وعلمهم ما علمه الله، ونصح لهم في حياته وبعد مماته، كإخوانه من المرسلين ومن اتبعهم، فلما رأى من نفسه الضعف، وخاف أن يموت، ولم يكن أحد ينوب منابه في دعوة الخلق إلى ربهم والنصح لهم، شكا إلى ربه ضعفه الظاهر والباطن، وناداه نداء خفيا، ليكون أكمل وأفضل وأتم إخلاصا، فقال: {رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي}، أي: وهى وضعف، وإذا ضعف العظم، الذي هو عماد البدن، ضعف غيره، {وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا}؛ لأن الشيب دليل الضعف والكبر، ورسول الموت ورائده، ونذيره، فتوسل إلى الله تعالى بضعفه وعجزه، وهذا من أحب الوسائل إلى الله؛ لأنه يدل على التبري من الحول والقوة، وتعلق القلب بحول الله وقوته.

{وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا} أي، لم تكن يا رب تردني خائبا ولا محروما من الإجابة، بل لم تزل بي حفيا ولدعائي مجيبا، ولم تزل ألطافك تتوالى علي، وإحسانك واصلا إلي، وهذا توسل إلى الله بإنعامه عليه، وإجابة دعواته السابقة، فسأل الذي أحسن سابقا، أن يتمم إحسانه لاحقا.

{وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي} أي، وإني خفت من يتولى على بني إسرائيل من بعد موتي، أن لا يقوموا بدينك حق القيام، ولا يدعوا عبادك إليك، وظاهر هذا، أنه لم ير فيهم أحدا فيه لياقة للإمامة في الدين، وهذا فيه شفقة زكريا عليه السلام ونصحه، وأن طلبه للولد، ليس كطلب غيره، قصده مجرد المصلحة الدنيوية، وإنما قصده مصلحة الدين، والخوف من ضياعه، ورأى غيره غير صالح لذلك، وكان بيته من البيوت المشهورة في الدين، ومعدن الرسالة، ومظنة للخير، فدعا الله أن يرزقه ولدا، يقوم بالدين من بعده، واشتكى أن امرأته عاقر، أي ليست تلد أصلا وأنه قد بلغ من الكبر عتيا، أي: عمرا يندر معه وجود الشهوة والولد. {فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا} وهذه الولاية، ولاية الدين، وميراث النبوة والعلم والعمل، ولهذا قال: {يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا} أي: عبدا صالحا ترضاه وتحببه إلى عبادك، والحاصل أنه سأل الله ولدا، ذكرا، صالحا، يبق بعد موته، ويكون وليا من بعده، ويكون نبيا مرضيا عند الله وعند خلقه، وهذا أفضل ما يكون من الأولاد، ومن رحمة الله بعبده، أن يرزقه ولدا صالحا، جامعا لمكارم الأخلاق ومحامد الشيم. فرحمه ربه واستجاب دعوته.[1]

وقد ذكر الطاهر بن عاشور جملة من أسباب إجابة الدعاء من ذكر

---

(١) – تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠ م ص (٤٩٠).

الضعف والافتقار لله وعرض الحاجة الملحة من وهب الولد من الدعوة للتوحيد ونشره ليحقق بذلك مقاصد التوحيد بعبادة الدعاء المخلص الحفي فقال: أن زكريا قال: يا رب، بصوت خفي، وإنما كان خفيا؛ لأن زكريا رأى أنه أدخل في الإخلاص مع رجائه أن الله يجيب دعوته؛ لئلا تكون استجابته مما يتحدث به الناس، فلذلك لم يدعه تضرعا وإن كان التضرع أعون على صدق جملة، قال رب إني وهن العظم مني مبنية لجملة نادى ربه، وهي وما بعدها تمهيد للمقصود من الدعاء وهو قوله: فهب لي من لدنك وليا، وإنما كان ذلك تمهيدا لما يتضمنه من اضطراره لسؤال الولد، والله يجيب المضطر إذا دعاه، فليس سؤاله الولد سؤال توسع لمجرد تمتع أو فخر، ووصف من حاله ما تشتد معه الحاجة إلى الولد حالا ومئالا، فكان وهن العظم وعموم الشيب حالا مقتضيا للاستعانة بالولد مع ما يقتضيه من اقتراب إبان الموت عادة، فذلك مقصود لنفسه ووسيلة.(١)

٢- قال تعالى: {قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا} [مريم:١٨]

في هذه الآية نوع من توحيد الألوهية الاستعادة والاعتصام بالله، ومقاصد هذا التوحيد، تسليم العبد أمره لله واعتماده عليه، وعصمة الله للعبد من شر ما استعاذه منه، استخدام هذا التوحيد لإخافة التقي من قدرة الله عليه، وقد بين هذا الإمام الطبري في تفسيره هذه المقاصد فقال: تقول: أستجير بالرحمن منك أن تنال مني ما حرّمه عليك إن كنت ذا تقوى له تتقي محارمه، وتجتنب معاصيه؛ لأن من كان لله تقيا، فإنه يجتنب ذلك. ولو وجه ذلك إلى أنها عَنَت: إني أعوذ

(١) – التحرير والتنوير "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد"، لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)، الناشر : الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ (١٦/٦١-٦٧).

بالرحمن منك إن كنت تتقي الله في استجارتي واستعاذتي به منك كان وجها.[١]

وقد عزز هذا المعنى القاسمي فقال: أنها قالت: أي أعتصم به منك، إنما خافته لانفرادها في خلوتها، وظنها أنه يريدها على نفسها، وفي ذلك من الورع والعفاف ما لا غاية وراءه إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا؛ أي تتقي الله تعالى، وتبالي بالاستعاذة به، وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة السياق عليه، أي فإني عائذة به، أو فلا تتعرض ل، وإنّما ذكّرته بالله تعالى، لأن المشروع في الدفع أن يكون بالأسهل فالأسهل، فخوفته أولا بالله عز وجل.[٢]

وقد وضح الطاهر بن عاشور: أنها بادرته بالتعوذ منه قبل أن يكلمها مبادرة بالإنكار على ما توهمته من قصده الذي هو المتبادر من أمثاله في مثل تلك الحالة.

وجملة إني أعوذ بالرحمن منك خبرية، ولذلك أكدت بحرف التأكيد، والمعنى: أنها أخبرته بأنها جعلت الله معاذا لها منه، أي جعلت جانب الله ملجأ لها مما هم به.

وقد ذكر أن استعاذتها موعظة، فيها تذكير وتهيج للتقوى ويتحصل بها مقصد الوقاية من ذي الشر فقال: وهذه موعظة له، وذكرها صفة "الرحمان" دون غيرها من صفات الله لأنها أرادت أن يرحمها الله بدفع من حسبته داعرا

---

(١) – جامع البيان في تأويل القرآن، لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م (١٦٤/١٨).

(٢) – محاسن التأويل، لمحمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ)، المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلميه – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ (٧/ ٨٩).

عليها، وقولها إن كنت تقيا تذكير له بالموعظة بأن عليه أن يتقي ربه، ومجيء هذا التذكير بصيغة الشرط المؤذن بالشك في تقواه قصد لتهييج خشيته، وكذلك اجتلاب فعل الكون الدال على كون التقوى مستقرة فيه، وهذا أبلغ وعظ وتذكير وحث على العمل بتقواه.(١)

٣-قال تعالى: {قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا، وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا} [مريم:٣٠-٣١].

من مقاصد التوحيد أن البشر عبيد لله، وأن الله منزه عن اتخاذ الولد والشريك له سبحانه، قال القاسمي في تفسير هذه الآية: إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ أنطقه الله بذلك، أولا تحقيقا للحق في شأنه وتنزيها لله تعالى عن الولد، ردّا على من يزعم ربوبيته ونبوّته آتانِيَ الْكِتابَ أي الإنجيل وَجَعَلَنِي نَبِيًّا وَجَعَلَنِي مُبارَكاً أَيْنَ ما كُنْتُ أي كثير الخير حيثما وجدت، أبلغ وحي ربي لتقوم النفوس وكبح الشهوات والأخذ بما هو مناط السعادات، والتعبير بلفظ الماضي في الأفعال الثلاثة، إما باعتبار ما سبق في القضاء المحتوم، أو جعل الآتي، لا محالة، كأنه وجد وَأَوْصانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكاةِ ما دُمْتُ حَيًّا أي أمرني بالعبادة وإنفاق المال مدة حياتي.(٢)

٤-قوله تعالى: {وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ}[مريم:٣٦].

من مقاصد التوحيد لله إفراد الله بالعبادة ونفي الشريك لله؛ لمنافاته لتوحيده، وإثبات أن عيسى عليه السلام عبد لله مأمور بعبادته كسائر خلقه، قال السعدي في تفسيره لهذه الآية: أن الإقرار بتوحيد الربوبية، بأن الله هو المربي جميع خلقه بأنواع النعم الظاهرة والباطنة، والإقرار بتوحيد العبودية، بالأمر بعبادة الله

---

(١) - التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٨١/١٦).

(٢) - محاسن التأويل للقاسمي (٩٣/٧).

وحده لا شريك له، وإخبار عيسى عليه السلام أنه عبد من عباد الله، ليس كما قال فيه النصارى: "إنه ابن الله أو ثالث ثلاثة" والإخبار بأن هذا المذكور صراط مستقيم، موصل إلى الله وإلى جنته.(١)

٥-قال تعالى: {قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا، وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا} [مريم:٤٧-٤٨].

من مقاصد التوحيد طلب المغفرة من الله للنفس وللغير، بشرط أن يكون مخلصا لله في الاستغفار، وأن يكون المستغفر له مرضي عنه موحدا لله، وإما استغفار إبراهيم لأبيه فلا يقتدى به؛ لتبرئه منه لما تبين أنه مشرك بالله وعدو له؛ ولذا اعتزلهم ما يدعون من دون الله وهذا ما بينه الشنقيطي في أضواء البيان فقال: وقوله: سأستغفر لك ربي، وعد من إبراهيم لأبيه باستغفاره له، وقد وفى بذلك الوعد، كما قال تعالى عنه: واغفر لأبي إنه كان من الضالين، وكما قال تعالى عنه: {رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ}.

ولكن الله لما بين له أنه عدو لله تبرأ منه، ولم يستغفر له بعد ذلك، كما قال تعالى: {فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ}[التوبة:١١٤]، وقد قال تعالى: {وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا}[التوبة:١١٤]، والموعدة المذكورة هي قوله هنا: {سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي}، ولما اقتدى المؤمنون بإبراهيم فاستغفروا لموتاهم المشركين، واستغفر النبي صلى الله عليه وسلم لعمه أبي طالب أنزل الله فيهم: {مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ}[التوبة:١١٣]، ثم قال: {وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ}، وبين في سورة

(١) - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي ص (٧٦٨).

"الممتحنة" أن الاستغفار للمشركين مستثنى من الأسوة بإبراهيم، والأسوة الاقتداء، وذلك في قوله تعالى: {قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ} – إلى قوله – {إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ}[الممتحنة:٤]، أي: فلا أسوة لكم في إبراهيم في ذلك، ولما ندم المسلمون على استغفارهم للمشركين حين قال فيهم: {مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ} الآية، بين الله تعالى أنهم معذورون في ذلك؛ لأنه لم يبين لهم منع ذلك قبل فعله، وذلك في قوله: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ}[التوبة: ١١٥].(١)

وقد بين ابن كثير أن استغفار إبراهيم لأبيه مسألة لا يقتدي به بها، وأنه قد تبرأ من أبيه فقال: وقد استغفر إبراهيم صلى الله عليه وسلم لأبيه مدة طويلة وبعد أن هاجر إلى الشام وبنى المسجد الحرام وبعد أن ولد له إسماعيل وإسحاق عليهما السلام في قوله: {رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ}[إبراهيم:٤١] وقد استغفر المسلمون لقراباتهم وأهليهم من المشركين في ابتداء الإسلام وذلك اقتداء بإبراهيم الخليل في ذلك حتى أنزل الله تعالى: {قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ} – إلى قوله – {إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ}[الممتحنة:٤] الآية يعني إلا في هذا القول فلا تتأسوا به ثم بين تعالى أن إبراهيم أقلع عن ذلك ورجع عنه فقال تعالى: : {مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا

(١) – أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان، عام النشر: ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ مـ (٤٣٨/٣).

لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ}[التوبة:١١٣].(١)

٦-قال تعالى: {فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا} [مريم:٥٩].

من مقاصد التوحيد في الصلاة لله والمحافظة عليها في أوقاتها المعلومة، وإقامتها بأركانها وسننها: نجاة العبد من عذاب النار، وإنما توعد بغي لمن ضيعها؛ لأنه إذا ضيعها كان لما سواها أضيع، وقد وضح ذلك ابن كثير في تفسيره فقال: " خلف من بعدهم خلف " أي قرون أخر " أضاعوا الصلاة " وإذا أضاعوها فهم لما سواها من الواجبات أضيع لأنها عماد الدين وقوامه وخير أعمال العباد وأقبلوا على شهوات الدنيا وملاذها ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها فهؤلاء سيلقون غيا أي خسارا يوم القيامة.

وقد بين ابن كثير اختلاف العلماء في الإضاعة للصلاة: فمنهم من قال: تركها بالكلية، ومنهم من قال: أضاعوا المواقيت، وقد أكد هذا المعنى الأوزاعي عن إبراهيم بن يزيد: إن عمر بن عبد العزيز قرأ " فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا " ثم قال لم تكن إضاعتهم تركها ولكن أضاعوا الوقت، وقال: بعضهم ينزو بعضهم على بعض في الأزقة.

وذكر عن الحسن البصري أن أضاعوا الصلاة: عطلوا المساجد ولزموا الضيعات.

---

(١) – تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: محمد حسين شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٩ هـ، (٩/٢٥٣).

وذكر أيضا اختلافهم في غي التي هي مآل المضيعين للصلاة {فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا}، أي خسرانا وذكر عن ابن مسعود أنها واد في جهنم بعيد القعر خبيث الطعم، وقال الفضيل بن عياض واد في جهنم من قيح ودم.(١)

٧-قال تعالى: {إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا}[مريم:٦٠] والتوبة للمذنب وقبول التوبة والإثابة عليها بالجنة مقصد من مقاصد التوحيد، وقد بين هذا ابن كثير في قوله " إلا من تاب وآمن وعمل صالحا " أي إلا من رجع عن ترك الصلوات واتباع الشهوات فإن الله يقبل توبته ويحسن عاقبته ويجعله من ورثة جنة النعيم ولهذا قال:{فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا}وذلك؛ لأن التوبة تجب ما قبلها وفي الحديث الآخر: "التائب من الذنب كمن لا ذنب له"(٢) ولهذا لا ينقص هؤلاء التائبون من أعمالهم التي عملوها شيئا ولا قوبلوا بما عملوه قبلها فينقص لهم مما عملوه بعدها لأن ذلك ذهب هدرا وترك نسيا وذهب مجانا من كرم الكريم وحلم الحليم.(٣)

****

(١) – تفسير ابن كثير (٩/٢٦٤-٢٦٩).

(٢) – رواه ابن ماجه (٤٢٥٠) باب ذكر التوبة، والحديث قال عنه الألباني حسن.

(٣) – تفسير ابن كثير (٩/٢٦٩).

المبحث الثالث: الرغبة والرهبة في إثبات البعث والنشور

البعث والنشور حق لا مرية فيه للمؤمن والكافر، فالمؤمن تحدوه رغبة للبعث وحب للقاء الله؛ لما يرى من النعيم المنتظر له، والكافر تعتريه رهبة وخوف من البعث ولقاء الله، لما ينتظره من العذاب المقيم وقد جاء بيان هذه في الصحيحين قال رسو الله صلى الله عليه وسلم: "من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه، قالت عائشة أو بعض أزواجه: إنا لنكره الموت، قال: ليس ذاك، ولكن المؤمن إذا حضره الموت بشر برضوان الله وكرامته، فليس شيء أحب إليه مما أمامه، فأحب لقاء الله وأحب الله لقاءه، وإن الكافر إذا حضر بشر بعذاب الله وعقوبته، فليس شيء أكره إليه مما أمامه، كره لقاء الله وكره الله لقاءه"(١)، وفي هذا المبحث سنتحدث عن موضوع الرغبة والرهبة في إثبات البعث، وسنجمع الآيات التي فيها الرغبة على حدى، والتي فيها الرهبة على حدى وسنبدأ بالحديث على <u>الرغبة في إثبات البعث</u> في الآيات التالية:

١- قال تعالى:{وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا} [مريم:١٥].

في هذه الآية إثبات البعث مع وجود الرغبة والأمان من أهوال البعث، قال الكرماني أي سلام له منا، قال ابن عيينة: أوحش ما يكون المرء في ثلاثة مواطن، يوم وُلِدَ فيرى نفسه خارجا مما كان فيه، ويوم يموت، فيرى قوماً لم يكن، عاينهم، ويوم القيامة فيرى نفسه في هول عظيم، فأكرم الله فيها يحيى.(٢)

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الرقاق، باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه (٨/ ١٠٦)ح (٦٥٠٧) ، ومسلم في صحيحه: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب من أحب لقاء الله (٤/ ٢٠٦٥) ح(٢٦٨٣).

(٢) – غرائب التفسير وعجائب التأويل، لمحمود بن حمزة بن نصر، أبي القاسم برهان الدين الكرماني، ويعرف بتاج القراء (المتوفى: نحو ٥٠٥هـ)، دار النشر: دار القبلة للثقافة الإسلامية – جدة، مؤسسة علوم القرآن – بيروت (٦٨٩/٢).

وقد فصل البيضاوي السلام في هذه المواطن الثلاث فقال: وَسَلامٌ عَلَيْهِ من الله، يَوْمَ وُلِدَ من أن يناله الشيطان بما ينال به بني آدم، وَيَوْمَ يَمُوتُ من عذاب القبر، وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا من عذاب النار وهول القيامة.(١)

٢-قال تعالى: {وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا} [مريم:٣٣].

في هذه الآية أثبات البعث والرغبة فيه وفيها مزيد بيان في إثبات عبودية عيسى عليه السلام لله وقد بين هذا ابن كثير في تفسيره فقال: والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا إثبات منه لعبوديته لله عز وجل، وأنه مخلوق من خلق الله يحيى ويموت ويبعث كسائر الخلائق، ولكن له السلامة في هذه الأحوال التي هي أشق ما يكون على العباد، صلوات الله وسلامه عليه.(٢)

وأكد هذا المعنى البقاعي فقال: ويوم أبعث حياً، يوم القيامة كما تقدم في يحيى عليه السلام، إشارة إلى أنه في البشرية مثله سواء لم يفارقه أصلاً إلا في كونه من غير ذكر، وإذا كان جنس السلام عليه كان اللعن على أعدائه، فهو بشارة لمن صدقه فإنه منه، ونذارة لمن كذبه.(٣)

٣-قال تعالى: {إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا، جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا،

---

(١) - أنوار التنزيل وأسرار التأويل، لناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ)، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ (٧/٤).

(٢) - تفسير ابن كثير (٢٠٣/٥).

(٣) - نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي ابن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ)، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي (٥٣٢/٤).

لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا، تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا} [مريم: ٦٠-٦٣]

في هذه الآيات نحد ريح الرغبة في إثبات البعث لما ينتظر المؤمن من النعيم بالجنات وهذا واضح في سياق الآيات وقد بين هذا القرطبي في تفسيره لهذه الآيات فقال: إلا من تاب وآمن وعمل صالحاً، يعني إلا من تاب من التقصير في الصلوات والمعاصي وآمن من الكفر وعمل صالحاً بطاعة الله تعالى، فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئاً، أي لا ينقصون شيئاً ثم وصف الجنة فقال تعالى، جنات عدن، أي بساتين إقامة وصفها بالدوام بخلاف جنات الدنيا فإنها لا تدوم، التي وعد الرحمن عباده بالغيب، أي إنهم لا يرونها فهي غائبة عنهم وهم غائبون عنها ، إنه كان وعده مأتياً ، أي آتياً وقيل معنى وعده موعود وهو الجنة مأتياً أي يأتيه أولياء الله وأهل طاعته، لا يسمعون فيها لغواً، أي باطلاً وفحشاً وهو فضول الكلام، إلا سلاماً، يعني بل يسمعون فيها سلاماً والسلام اسم جامع للخير لأنه يتضمن معنى السلامة، وذلك أن أهل الجنة لا يسمعون فيها ما يؤلمهم، وإنما يسمعون تسليمهم، وقيل هو تسليم بعضهم على بعض وتسليم الملائكة عليهم، وقيل هو تسليم الله عليهم، ولهم رزقهم فيها بكرة وعشياً، أي يؤتون بأرزاقهم على مقدار طرفي النهار كعادتهم في الدنيا[1]، وذكر أقوال لا داعي لبسطها.

٤-قال تعالى: {وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا، ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا} [مريم:٧١-٧٢].

(١) – تفسير القرطبي، أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م، (١٢٥/١١).

وفي هذه الآية أثبات البعث و بشارة بالسلامة والنجاة من عذاب النار وهذا ما يرغب به المؤمن ويحبه، وقد فصل وبين هذا الخازن في تفسيره اللباب فقال: ثم ننجي الذين اتقوا، أي الشرك وهم المؤمنون والنجاة إنما تكون مما دخلت فيه، يدل ما روي عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لا يموت لأحد من المؤمنين ثلاثة من الولد فتمسه النار إلا تحلة القسم"(١)، أراد بالقسم قوله تعالى: وإن منكم إلا واردها عن أم مبشر الأنصارية نها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عند حفصة :" لا يدخل النار إن شاء الله تعالى من أصحاب الشجرة أحد من الذين بايعوا تحتها قالت: بلى يا رسول الله فانتهزها فقالت حفصة: وإن منكم إلا واردها فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد قال الله تعالى: ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً".(٢)

وقوله تعالى" كان على بك حتماً مقضياً، أي كان ورود جهنم قضاء لازماً قضاء الله تعالى عليكم وأوجبه".(٣)

٥-قال تعالى: {وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا} [مريم:٧٦].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الجنائز، باب فضل من مات له ولد فاحتسب وقال الله عز وجل: {وبشر الصابرين} [البقرة: ١٥٥] (٢/ ٧٣) ح(١٢٥١) ، ومسلم في صحيحه: كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل من مات له ولد (٤/٢٠٢٨) ح(٢٦٣٢).

(٢) – رواه مسلم (٦٤٨٨) باب فضائل أصحاب الشجرة رضي الله عنهم.

(٣) – تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل، لعلاء الدين علي ابن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن، دار النشر: دار الفكر – بيروت / لبنان – ١٣٩٩ هـ /١٩٧٩ م (٤/٢٥٤-٢٥٦)، تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت (٥/٢٧٤-٢٧٥).

لما ذكر تعالى إمداد من هو في الضلالة فيما هو فيه، وزيادته على ما هو عليه، أخبر بزيادة المهتدين هدى، وهي خير عاقبة لهم يوم البعث، قال القرطبي: الباقيات الصالحات قيل: وما هي يا رسول الله؟ قال: " التكبير والتهليل والتسبيح والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا باله"[(١)]، وقد وردت في هذا أحاديث كثيرة، وقد ذكر القرطبي لابن عباس قولا جامها في الباقيات الصالحات أنها: الصلوات الخمس، و إنها كل عمل صالح من قول أو فعل يبقى للآخرة.[(٢)]

(وخير مردا) أي في الآخرة مما افتخر به الكفار في الدنيا. و (المرد) مصدر كالرد، أي وخير ردا على عاملها بالثواب، يقال: هذا أرد عليك أي أنفع لك. وقيل" خير مردا" أي مرجعا فكل أحد يرد إلى عمله الذي عمله..[(٣)]

٦-قال تعالى: {يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا} [مريم: ٨٥].

في هذه الآية إثبات للبعث والحشر، وكرامة المتقين يوم بعثهم الله وإتيانهم على النجائب والنوق وهذا ما يرغب به المؤمنون من الكرامة ويتطلعون إليه في الآخرة، وقد وضح هذا ابن كثير في تفسيره للآية فقال: عن أبي هريرة يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا قال: على الإبل، وقال ابن جريج: على النجائب، وقال الثوري: على الإبل النوق، وقال قتادة يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا قال: إلى الجنة، وقال عبد الله ابن الإمام أحمد في مسند أبيه: النعمان بن سعد، قال: كنا جلوسا عند علي رضي الله عنه، فقرأ هذه الآية: يوم

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده: (١١٧٣١) مسند أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، والحديث قال عنه شعيب الأرنؤوط حسن لغيره.

(٢) - تفسير القرطبي (١٠/٤١٤).

(٣) - تفسير القرطبي (١١/،١٤٥) (١٠/٤١٥).

نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا قال: لا والله ما على أرجلهم يحشرون ولا يحشر الوفد على أرجلهم، ولكن بنوق لم ير الخلائق مثلها، عليها رحائل من ذهب، فيركبون عليها حتى يضربوا أبواب الجنة، وقيل عليها رحائل من ذهب وأزمتها الزبرجد.(١)

الرهبة في إثبات البعث والنشور:

وبعد أن تناولنا الآيات التي فيه الرغبة في إثبات البعث، سنتناول في هذا المبحث الآيات التي تحدثت عن الرهبة في إثبات البعث وهي كالآتي:

١-قال تعالى: {فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ، أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} [مريم: ٣٧-٣٨].

في هذه الآيتان وما بعدهما إثبات البعث مع الترهيب منه والتعظيم له، ولهذا سماه الله مشهد يوم عظيم وقد فصل هذا ابن الجوزي تفسيره زاد المسير فقال: قوله تعالى: فويل للذين كفروا بقولهم في المسيح من مشهد يوم عظيم أي من حضورهم ذلك اليوم للجزاء، وقوله تعالى أسمع بهم وأبصر فيه قولان:

أحدهما: أن لفظه لفظ الأمر ومعناه الخبر فالمعنى ما أسمعهم وأبصرهم يوم القيامة سمعوا وأبصروا حين لم ينفعهم ذلك؛ لأنهم شاهدوا من أمر الله ما لا يحتاجون معه الى نظر وفكر، فعلموا الهدى وأطاعوا هذا قول الأكثرين.

والثاني: أسمع بحديثهم اليوم وأبصر كيف يصنع بهم يوم يأتوننا قاله أبو العالية، قوله تعالى لكن الظالمون يعني المشركين والكفار اليوم يعني في الدنيا في ضلال مبين.

ثم ذكر ابن الجوزي تفسير ما بعدهما من الآيات فقال: قوله تعالى وانذرهم

(١) - تفسير ابن كثير (٥/٢٦٤).

أي خوف كفار مكة يوم الحسرة يعني يوم القيامة يتحسر المسيء إذ لم يحسن، والمقصر إذ لم يزدد من الخير، وموجبات الحسرة يوم القيامة كثيرة فمن ذلك ما روى أبو سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه و سلم انه قال: "إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار قيل يا أهل الجنة فيشرئبون وينظرون وقيل يا أهل النار فيشرئبون وينظرون فيجاء بالموت كأنه كبش أملح فيقال لهم هل تعرفون هذا فيقولون هذا الموت فيذبح ثم يقال يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه و سلم وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون".(١)

قال المفسرون فهذه هي الحسرة إذا ذبح الموت فلو مات أحد فرحا مات أهل الجنة ولو مات أحد حزنا مات اهل النار.

قوله تعالى (إذ قضي الأمر) قال ابن الأنباري: قضي في اللغة بمعنى أتقن وأحكم وإنما سمي الحاكم قاضيا لإتقانه وإحكامه ما ينفذ وفي الآية اختصار والمعنى إذ قضي الأمر الذي فيه هلاكهم، وللمفسرين في الأمر قولان:

أحدهما: انه ذبح الموت قاله ابن جريج والسدي والثاني: أن المعنى قضي العذاب لهم قاله مقاتل.

قوله تعالى وهم في غفلة أي هم في الدنيا في غفلة عما يصنع بهم ذلك اليوم وهم لا يؤمنون بما يكون في الآخرة. (٢)

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب تفسير القرآن، باب وأنذرهم يوم الحسرة (٦/ ٩٣) ح(٤٧٣٠) ، ومسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية (١/ ١٦٧) ح(١٨٣).

(٢) – زاد المسير في علم التفسير، لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ابن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ (٥/٢٣٢-٢٣٥).

وقد بين النسفي لما سمي مشهد يوم عظيم فقال: {مِن مَّشْهِدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ} هو يوم القيامة أو من شهودهم هول الحساب والجزاء في يوم القيامة أو من شهادة ذلك اليوم عليهم وأن تشهد عليهم الملائكة والأنبياء جوارحهم بالكفر أو من مكان الشهادة أو وقتها أو المراد يوم اجتماعهم للتشاور فيه وجعله عظيماً لفظاعة ما شهدوا به في عيس.(١)

٢-قال تعالى: {فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا} [مريم: ٥٩].

هذه الآية تثبت الرهبة في البعث بلقاء الغي لمن ضيع الصلاة، وقد ذكرنا في من قبل معنى التضييع للصلاة، وهنا سنتطرق لأقوال العلماء في معنى "فسوف يلقون غياً" لمن أعد "غيا" قال ابن عباس : الغي واد في جهنم ، وإن أودية جهنم لتستعيذ من حره أعد للزاني المصر عليه، ولشارب الخمر المدمن له ولآكل الربا الذي لا ينزع عنه ولأهل العقوق، ولشاهد الزور، وقيل هو وادٍ في جهنم بعيد قعره خبيث طعمه يسيل قيحاً ودماً، وقيل: واد في جهنم أبعدها قعراً وأشدها حراً فيه بئر تسمى الهيم، كلما خبت جهنم فتح الله تلك البئر فتستعر بها جهنم، وقيل معنى غياً خسراناً وقيل هلاكاً وعذاباً، وليس معنى يلقون يرون فقط بل معناه الاجتماع والملابسة مع الرؤية.(٢)

٣-قال تعالى {وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا، أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا، فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ

---

(١) - تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م (٣٣٦/٢).

(٢) - تفسير القرطبي (١٢٥/١١)

لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا، ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا، ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَى بِهَا صِلِيًّا} [مريم:٦٦-٧٠].

في هذه الآيات الرهبة في إثبات البعث، مع بيان مبدأ خلق الإنسان، ليثبت به البعث الأكبر، والآيات واصح الدلالة على إثبات البعث ومآل الكافرين، وسنذكر هنا ما قاله العلماء في تفسير هذه الآيات،

قوله تعالى: (ويقول الإنسان) أي جنس الإنسان والمراد به الكفار الذين أنكروا البعث، وقيل هو أبي بن خلف الجمحي، وكان منكراً للبعث أئذا ما مت لسوف أخرج حياً قاله استهزاءً وتكذيباً للبعث قال الله تعالى: {أولا يذكر الإنسان} أي يتذكر ويتفكر يعني منكر البعث {أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً}، والمعنى أولاً يتفكر هذا الجاحد في بدء خلقه فيستدل به على الإعادة.

قال بعض العلماء: لو اجتمع كل الخلائق على إيراد حجة في البعث على هذا الاختصار ما قدروا عليه، إذ لا شك أن الإعادة ثانياً أهون من الإيجاد أولاً، ثم أقسم بنفسه فقال تعالى {فو ربك} وفيه تشريف للنبيّ صلى الله عليه وسلم {لنحشرنهم}، أي لنجمعنهم في المعاد يعني المشركين المنكرين للبعث {والشياطين} أي مع الشياطين، وذلك أنه يحشر كل كافر مع شيطان في سلسلة {ثم لنحضرنهم حول جهنم جثياً}، قال ابن عباس: جماعات وقيل جاثين على الركب لضيق المكان، وقيل إن البارك على ركبتيه صورته كصورة الذليل.

فإن قلت هذا المعنى حاصل للكل بدليل قوله تعالى: {وترى كل أمة جاثية}، " قلت وصفوا بالجثو على العادة المعهودة في مواقف المقالات والمناقلات، وذلك لما فيه من القلق مما يدهمهم من شدة الأمور التي لا يطيقون معها القيام على أرجلهم فيجثون على ركبهم جثواً {ثم لننزعن}، أي لنخرجن {من كل شيعة}، أي من كل أمة وأهل دين من الكفار {أيهم أشد على

الرحمن عتياً}، قال ابن عباس: يعني جرأة وقيل فجوراً وتمرداً، وقيل قائدهم رئيسهم في الشرك، والمعنى أنه يقدم في إدخال النار الأعتى ممن هو أكبر جرماً وأشد كفراً.

وفي بعض الأخبار أنهم يحضرون جميعاً حول جهنم مسلسلين مغلولين، ثم يقدم الأكفر فالأكفر فمن كان أشد منهم تمرداً في كفره خص بعذاب أعظم وأشد لأن عذاب الضال المضل واجب أن يكون فوق عذاب الضال التابع لغيره في الضلال.

وفائدة هذا التمييز التخصيص بشدة العذاب لا التخصيص بأصل العذاب فلذلك قال في جمعيهم {ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صلياً}، ولا يقال أولى إلا مع اشتراك القوم في العذاب وقيل معنى الآية أنهم أحق بدخول النار.[1]

٤-قال تعالى: {قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا} [مريم: ٧٥].

في هذه الآية يبين ابن كثير إثبات البعث بلغة التهكم والتهديد والمباهلة، حتى يروا ما يوعدون ترهيبا لهم، فقال مفسرا لهذه الآية: قل يا محمد لهؤلاء المشركين بربهم المدعين أنهم على حق وأنكم على باطل: من كان في الضلالة أي منا ومنكم فليمدد له الرحمن مدا أي فأمهله الرحمن فيما هو فيه حتى يلقى

---

(١) - تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل، لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن، دار النشر: دار الفكر - بيروت / لبنان -، ١٣٩٩ هـ /١٩٧٩ م (٤/٢٥٤-٢٥٦)، تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، المؤلف: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت (٥/٢٧٤-٢٧٥).

ربه وينقضي أجله حتى إذا رأوا ما يوعدون إما العذاب يصيبه وإما الساعة بغتة تأتيه فسيعلمون حينئذ من هو شر مكانا وأضعف جندا في مقابلة ما احتجوا به من خيرية المقام وحسن الندي، قال مجاهد في قوله: فليمدد له الرحمن مدا فليدعه الله في طغيانه، وهكذا قرر ذلك أبو جعفر بن جرير رحمه الله.

وهذه مباهلة للمشركين الذين يزعمون أنهم على هدى فيما هم فيه.(١)

٥-قال تعالى: {أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا، أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا،كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا، وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا، وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا، كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا}[مريم: ٧٧-٨٢].

في هذه الآيات رد على المتهكم بالبعث والمنكر له والشاك فيه، بإثبات البعث في مقام الرهبة والرعب، وقد أورد الماوردي في تفسير وجوه الإنكار وإثبات البعث بصفة مرعبة تكافئ التهكم الذي في النكير له فقال: وفي قوله تعالى: {لأُتَيَنَّ مَالاً وَوَلَداً} وجهان: أحدهما: أنه أراد في الجنة استهزاء بما وعد الله على طاعته وعبادته، قاله الكلبي.

الثاني: أنه أراد في الدنيا، وهو قول الجمهور، وفيه وجهان محتملان:

أحدهما: إن أقمت على دين آبائي وعبادة ألهتي لأوتين مالاً وولداً.

الثاني: معناه لو كنت أقمت على باطل لما أوتيت مالاً وولداً. {أَطَّلَعَ الْغَيْبَ} يحتمل وجهين:

أحدهما: معناه أعلم الغيب أنه سيؤتيه على كفره مالاً وولداً.

الثاني: أعلم الغيب لما آتاه الله على كفره، {أَمِ أَتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَن عَهْداً} فيه وجهان:

---

(١) - تفسير ابن كثير (٥/٢٢٨-٢٢٩).

أحدهما: يعني عملاً صالحاً قدمه، قاله قتادة.

الثاني: قولاً عهد به الله إليه، حكاه ابن عيسى.

قوله عز وجل: {وَنَرِثُه مَا يَقُولُ} فيه وجهان:

أحدهما: أن الله يسلبه ما أعطاه في الدنيا من مال وولد.

الثاني: يحرمه ما تمناه في الآخرة من مال وولد.

قوله عز وجل: {وَيَأْتِينَا فَرْداً} فيه وجهان: أحدهما: بلا مال ولا ولد، الثاني: بلا ولي ولا ناصر.

وقوله عز وجل: {... سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ} فيه وجهان: أحدهما: سيجحدون أن يكونوا عبدوها لما شاهدوا من سوء عاقبتها.

الثاني: سيكفرون بمعبوداتهم ويكذبونهم، {وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدّاً} فيه خمسة أوجه: أحدها: أعواناً في خصومتهم، قاله مجاهد، الثاني: قرناء في النار يلعنونهم، قاله قتادة، الثالث: يكونون لهم أعداء، قاله الضحاك، الرابع: بلاء عليهم، قاله ابن زيد، الخامس: أنهم يكذبون على ضد ما قدروه فيهم وأمّلوه منهم، قاله ابن بحر.(١)

٦-قال تعالى: {وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا، لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا} [مريم: ٨٧].

ذكر ابن كثير في تفسيره لهه الآية البعث الرهبة فيه ونهاية المآل للكافرين مع حرمانهم من الشفاعة لهم فقال: وقوله: ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا أي عطاشا لا يملكون الشفاعة أي ليس لهم من يشفع لهم كما يشفع المؤمنون بعضهم لبعض، كما قال تعالى مخبرا عنهم: {فما لنا من شافعين ولا صديق

(١) - تفسير ابن كثير (٥/٢٣١).

حميم} [الشعراء: ١٠١]، وقوله: إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا هذا استثناء منقطع بمعنى لكن من اتخذ عند الرحمن عهدا، وهو شهادة أن لا إله إلا الله والقيام بحقها، قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا قال: العهد شهادة أن لا إله إلا الله، ويبرأ إلى الله من الحول والقوة، ولا يرجو إلا الله عز وجل.[١]

***

(١) – تفسير ابن كثير (٥/٢٣٣-٢٣٤).

المبحث الرابع: بذل الأسباب لتحقيق التوكل على الله

التوكل هو اعتماد القلب على الله في تحقيق المراد مع التزام الأسباب المادية، أو التوفيقية الموصلة له، وفي هذا المبحث سنرى أن التوكل يحتاج إلى بذل النوعين من الأسباب، الأسباب المادية والتوفقية، وإليك الأدلة على ذلك من سورة مريم مع تفسير العلماء لها:

١-قال تعالى: {ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا، إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا، قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا، وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا، يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا، يَازَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا، قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا، قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا، قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا، فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا}[مريم: ٢-١١].

زكريا نبي الله عليه السلام كان متوكلا على الله في شأنه كله، وكان متوكلا عليه أيضا في وهب الولد، فمعطيات كسب الولد أنه متزوج، إلا أن هناك بعض العوائق التي تعيق كسب الولد منها: أنه كبر سنة ووهن عظمه واشتعل راسه شيبا، و كانت أمرأته عاقرا، ولكنه على علم أن قدرة الله مطلقة لا تتعلق بالأسباب فحسب بل الله مسبب الأسباب وخالقها سبحانه، فلجأ إلى الله بطريقة أخري من غير الأسباب المادية، فلجأ إلى الدعاء كسبب وتوفيقي، وكان هذا الدعاء مخلصا وخفيا، فكانت النتيجة وهب الولد مع تعطل الأسباب المادية في وهب الولد، وسنرى كيف عرض ابن كثير هذه القضية فقال:

والمقصود أن الله تعالى أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقص على الناس خبر زكريا عليه السلام وما كان من أمره حين وهبه الله ولدا على الكبر وكانت امرأته مع ذلك عاقرا في حال شبيبتها وقد أسنت أيضا، حتى لا ييأس أحد من فضل الله ورحمته ولا يقنط من فضله تعالى: {ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا، إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا}، قال قتادة عند تفسيرها: إن الله يعلم القلب النقي ويسمع الصوت الخفي.

وقال بعض السلف: قام من الليل فنادى ربه مناداة أسرها عمن كان حاضرا عنده مخافتة فقال: يا رب يا رب يا رب.

فقال الله: لبيك لبيك لبيك.

{قال رب إني وهن العظم مني}، أي ضعف وخار من الكبر {واشتعل الرأس شيبا}، استعارة من اشتعال النار في الحطب أي غلب على سواد الشعر شيبه كما قال ابن دريد في مقصورته:

إما ترى رأسي حاكى لونه * طرة صبح تحت أذيال الدجا

واشتعل المبيض في مسودة * مثل اشتعال النار في جمر الغضا

وآض عود اللهم يبسا ذاويا * من بعد ما قد كان مجاج الثرى

يذكر أن الضعف قد استحوذ عليه باطنا وظاهرا، وهكذا قال زكريا عليه السلام {إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا}.

وقوله {ولم أكن بدعائك رب شقيا}، أي ما عودتني فيما أسألك إلا الإجابة، وكان الباعث له على هذه المسألة أنه لما كفل مريم بنت عمران ابن ما ثان، وكان كلما دخل عليها محرابها وجد عندها فاكهة في غير إبانها ولا في أوانها، وهذه من كرامات الأولياء، فعلم أن الرازق للشيء في غير أوانه قادر على أن يرزقه ولدا وإن كان قد طعن في سنه {هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي

من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء} وقوله: {وإني خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقرا} قيل المراد بالموالي العصبة، وكأنه خاف من تصرفهم بعده في بني إسرائيل بما لا يوافق شرع الله وطاعته فسأل وجود ولد من صلبه يكون برا تقيا مرضيا ولهذا قال: {فهب لي من لدنك}، أي من عندك بحولك وقوتك، {وليا يرثني}، أي في النبوة والحكم في بني إسرائيل {ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا} يعني كما كان آباؤه وأسلافه من ذرية يعقوب أنبياء فاجعله مثلهم في الكرامة التي أكرمتهم بها من النبوة والوحي، وليس المراد هاهنا وراثة المال كما زعم ذلك من زعمه من الشيعة و وافقهم ابن جرير هاهنا وحكاه عن أبي صالح من السلف، لوجوه: أحدها: ما قدمناه عند قوله تعالى: {وورث سليمان داود}، أي في النبوة والملك حديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا نورث ما تركنا فهو صدقة"[1] فهذا نص على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يورث، ولهذا منع الصديق أن يصرف ما كان يختص به في حياته إلى أحد من ورائه الذين لولا هذا النص لصرف إليهم، وهم ابنته فاطمة وأزواجه التسع وعمه العباس.

وقوله: {يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا}، وهذا مفسر بقوله: {فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب أن الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين}.

فلما بشر بالولد وتحقق البشارة شرع يستعلم على وجه التعجب وجود الولد له والحالة هذه {قال رب أنى يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقرا وقد بلغت من

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب فرض الخمس، باب منه (٤/ ٧٩) ح(٣٠٩٢) ، ومسلم في صحيحه: باب قول النبي صلى الله عليه وسلم:"لا نورث ما تركنا فهو صدقة" (٣/١٣٨٠) ح (١٧٥٩)

الكبر عتيا} أي كيف يوجد ولد من شيخ كبير، قيل كان عمره إذ ذاك سبعا وسبعين سنة، والأشبه والله أعلم أنه كان أسن من ذلك {وكانت امرأتي عاقرا}، يعني وقد كانت امرأتي في حال شبيبتها عاقرا لا تلد والله أعلم.(١)

٢- قال تعالى:{وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا}[مريم:٢٥].

هنا سنرى أن بذل السبب سنة وعبادة لله وإن كان ضعيفا لا يفي بإيجاد المطلوب وقد فصل هذا القرطبي فقال في تفسير هذه الآية: فيه أربع مسائل: الأولى- قوله تعالى:" وهزي" أمرها بهز الجذع اليابس لترى آية أخرى في إحياء موات الجذع، والمعنى وهزي إليك رطبا على جذع النخلة، و"تساقط" أي تتساقط.

وقال مجاهد:" رطبا جنيا" قال: كانت عجوة، وجنيا أي لم يجف ولم ييبس ولم يبعد عن يدي مجتنيه، وهذا هو الصحيح، ويريد بالجنى ما يجنى منها أي يقطع ويؤخذ.

قال ابن عباس: كان جذعا نخزا فلما هزت نظرت إلى أعلى الجذع فإذا السعف قد طلع، ثم نظرت إلى الطلع قد خرج من بين السعف، ثم أخضر فصار بلحا ثم أحمر فصار زهوا، ثم رطبا، كل ذلك في طرفة عين، فجعل الرطب يقع بين يديها لا ينشدخ منه شي.

الثانية- استدل بعض الناس من هذه الآية على أن الرزق وإن كان محتوما، فإن الله تعالى قد وكل ابن آدم إلى سعي ما فيه، لأنه أمر مريم بهز النخلة؛ لترى آية، وكانت الآية تكون بألا تهز.

---

(١) - قصص الأنبياء، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، الناشر: مطبعة دار التأليف - القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م (٢/٣٤٧-٣٥٥).

الثالثة– الأمر بتكليف الكسب في الرزق سنة الله تعالى في عباده، وأن ذلك لا يقدح في التوكل، خلافا لما تقوله جهال المتزهدة، وقد كانت قبل ذلك يأتيها رزقها من غير تكسب كما قال:" كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا" فلما ولدت أمرت بهز الجذع، قال علماؤنا: لما كان قلبها فارغا فرغ الله جارحتها عن النصب، فلما ولدت عيسى وتعلق قلبها بحبه، واشتغل سرها بحديثه وأمره، وكلها إلى كسبها، وردها إلى العادة بالتعلق بالأسباب في عباده.

الرابعة– قال الربيع بن خيثم: ما للنفساء عندي خير من الرطب لهذه الآية، ولو علم الله شيئا هو أفضل من الرطب للنفساء لأطعمه مريم ولذلك قالوا: التمر عادة للنفساء من ذلك الوقت وكذلك التحنيك.(١)

يبقى أن الأصل هو فعل الأسباب، وأن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة، لا بد من بذل الأسباب، لكن كون هذه العادة المضطردة قد تُخرق لبعض الناس فيحصل له رزق بدون سبب، هذا لا شك أنه على خلاف الأصل إنما وجد لحاجة لنفس من حصلت على يديه، أو لتثبيت من يتبعه من أجل أن تُصدّق دعوته، وهذه الأمور التي تخرق العادات إن اقترنت بدعوى النبوة فهي المعجزة، وإن كانت على يد من هو على سنن الكتاب والسنة –على الجادة– فهي الكرامة وإلا فهي من الخوارق الشيطانية التي تحصل على يد بعض الناس مع مخالفتهم للكتاب والسنة من أجل الابتلاء بهم والامتحان، والله المستعان.(٢)

---

(١) – تفسير القرطبي، أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م (١١/٩٤-٩٦).

(٢) –التعليق على تفسير القرطبي، لأبي عبد الله محمد بن أحمد، شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، الشارح: عبد الكريم بن عبد الله بن عبد الرحمن بن حمد الخضير، دروس مفرغة من موقع الشيخ الخضير (١٥/١١-١٢).

٣-قال تعالى:{وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا، فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا، وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا}[مريم: ٤٨-٥٠].

لينجو إبراهيم بدينه من أبيه وقومه ويكون له أنيسا في وحشته في عزلته، اتخذ السبب فدعا ربه وقد وضح ذلك القرطبي فقال في تفسيره: {عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا} قيل: أراد بهذا الدعاء أن يهب الله تعالى له أهلا وولدا يتقوى بهم حتى لا يستوحش بالاعتزال عن قومه، ولهذا قال: {فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ}، أي آنسنا وحشته بولد، عن ابن عباس وغيره. وقيل:" عسى" يدل على أن العبد لا يقطع بأنه يبقى على المعرفة، أم لا في المستقبل، وقيل: دعا لأبيه بالهداية. ف"عسى" شك لأنه كان لا يدري هل يستجاب له فيه أم لا؟ والأول أظهر. وقوله: {وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا}، أي أثنينا عليهم ثناء حسنا، لأن جميع الملل تحسن الثناء عليهم، واللسان يذكر ويؤنث.(١)

***

(١) - تفسير القرطبي (١١/١١٣).

المبحث الخامس: هلاك الأمم السابقة

١-قال تعالى: {وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِئْيًا} [مريم: ٧٤].

هلاك الأمم سنة كونية قدرية ماضية إلى قيام الساعة، فما من أمة خالفت نهج الرسل واعترضت عليه وحاربته إلا وأهلكت ولم يغني عنها مالها وملكها وعدتها وقوتها شيئا، وبقيت عبرة لمن بعدها وقليل المعتبر لهذه العقوبات والمثلات، وقد بين القرطبي هذا وغير واحد من المفسرين وإليك نبذة من أقوالهم:

قال القرطبي: قاله الجوهري، قوله تعالى: {وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ} أي من أمة وجماعة، {هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثاً وَرِئْياً}، أي متاعا كثيرا؛ والأثاث متاع البيت، وقال ابن عباس: هيئة مقاتل ثيابا {وَرِئْياً} أي منظرا حسنا.(١)

يقول الغرناطي: هذه الآي حيث يراد تأكيده ضمن الآي من المعطيات ولإشارة إلى الوعيد وهى أبدا في أمثال هذه المواضع محرزة معنى التأكيد لا تنفك عن ذلك ثم إن حذفها أوجز من إثباتها ولكل مقام مقال، فحيث ورد في هذه الآي ما قبله استيفاء تفصيل وعيدين في أمة بعينها أو أكثر أو تكرر التهديد وشدة التخويف من مقتضى السياق، وفحوى الكلام فذلك موضع زيادتها والتأكيد بإثباتها وحيث لا يتقدم في اقتضاء مقتضاها نفوذ الوعيد، فهذا يناسبه الإيجاز بحذفها إذ لا يراد من تأكيد الوعيد ما يراد في الآي الأخر فهذا إن شاء الله يوضح ما ورد من الحذف ولإثبات في هذا الحرف.(٢)

---

(١) - تفسير القرطبي (١١/١٤٢-١٤٣).

(٢) - ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، لأحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبي جعفر (المتوفى: ٧٠٨هـ)، وضع حواشيه: عبد الغني محمد علي الفاسي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان (١/١٤٢).

يقول النسفي: {وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ}، فكم مفعول أهلكنا ومن تبيين لإبهامها أي كثيراً من القرون أهلكنا وكل أهل عصر قرن لمن بعدهم {هُمْ أَحْسَنُ}، في محل النصب صفة لكم ألا ترى أنك لو تركت هم كان أحسن نصباً على الوصفية {أَثَاثًا} هو متاع البيت أو ماجد من الفرش منظراً وهيئة فعل بمعنى مفعول من رأيت ورياً بغير همز مشدداً ونافع وابن عامر على قلب الهمزة ياء لسكونها وانكسار ما قبلها ثم الإدغام أو من الرى الذي هو النعمة.(١)

أي: كثيرًا من القرون التي كانوا أفضل منهم، فيما يفتخرون به من الحظوظ الدنيوية، كعاد وثمود وأضرابهم العاتية قبل هؤلاء، أهلكناهم بفنون العذاب، ولو كان ما آتيناهم لكرامتهم علينا، لما فَعَلنا بهم ما فعلنا، وفيه من التهديد والوعيد ما لا يخفى، كأنه قيل: فلينتظر هؤلاء أيضًا مثل ذلك.

الإشارة: رفعة القدر والمقام لا تكون بالتظاهر بمفاخر اللباس والطعام، ولا بحسن الهيئة ومنظر الأجسام، وإنما يكون باحتظاء القلوب بمعرفة الله، وتمكين اليقين من القلوب، واطلاعها على أسرار الغيوب، مع القيام بوظائف العبودية، أدبًا مع عظمة الربوبية، ونسيان النفوس والاشتغال عنها بالعكوف في حضرة القدوس، فأهل القلوب لا يعبأُون بظواهر الأشباح، وإنما يعتنون بحياة الأرواح.

كَمِّلْ حقيقتك التي لم تَكْمُلِ والجسم دعه في الحضيض الأسفل.(٢)

---

(١) – تفسير النسفى، (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، لأبي البركات عبد الله بن أحمد ابن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م (٣/٤٣).

(٢) – البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أبي العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (المتوفى: ١٢٢٤هـ)، المحقق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة، الطبعة: ١٤١٩هـ (٢/٣٥٥-٣٥٦).

٢-قال تعالى: {وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا} [مريم: ٩٨]

في هذه الآية بيان أن الأمة الهالكة فنيت، ولم يبقى منها شخص يرى أو صوت يسمع، وقد بين النسفي هذا، والحكمة من إهلاك الأمم السابقة في تفسيره فقال: {وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مّن قَرْنٍ}، تخويف لهم وإنذار {هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مّنْ أَحَدٍ} أي هل تجد أو ترى أو تعلم والإحساس الإدراك بالحاسة {أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزاً}، صوتاً خفياً ومنه الركاز أي لما أتاهم عذابنا لم يبق شخص يرى ولا صوت يسمع يعني هلكوا كلهم فكذا هؤلاء إن أعرضوا عن تدبر ما أنزل عليك فعاقبتهم الهلاك فليهن عليك أمرهم والله أعلم.(١)

وقد أكد هذا المعنى الألوسي في تفسيره لهذه الآية فقال: والمعنى أهلكناهم بالكلية واستأصلناهم بحيث لا ترى منهم أحدا ولا تسمع منهم صوتا خفيا فضلا عن غيره، وقيل: المعنى أهلكناهم بالكلية بحيث لا ترى منهم أحدا ولا تسمع من يخبر عنهم ويذكرهم بصوت خفي، والحاصل أهلكناهم فلا عين ولا خبر، والخطاب إما لسيد المخاطبين صلّى الله عليه وسلّم أو لكل من يصلح للخطاب.(٢)

***

(١) - تفسير النسفي، (٣٥٥/٢).

(٢) - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لشهاب الدين محمود ابن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، المحقق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ (٤٥٩/٨).

الفصل الثاني
بشارات الله تعالى

وفيه مباحث:

المبحث الأول: على قدر أهل العزم تأتي العزائم (الذرية الصالحة)

المبحث الثاني: إحسان الظن بالله - خوارق العادات

المبحث الثالث: ثمرة الطاعة

المبحث الأول: على قدر أهل العزم تأتي العزائم (الذرية الصالحة)

قال تعالى: {ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا، إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا، قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا، وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا، يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا، يَازَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا، قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا، قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا، قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا، فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا} [مريم: ٢-١١].

زكريا عليه السلام نبي الله كان ذا عزم وبلاء حسن، فكان يريد أن يهبه الله الولد الصالح؛ ليحمل ميراث النبوة، وخوفا من بني إسرائيل أن يفعلوا ما لا يوافق الشرع؛ تبديلا له أو تحريفا؛ ولكن المعطيات لوهب الولد على الطريقة المعهودة معدومة، فالرجل وهن عظمه، واشتعل الرأس شيبا، وامرأته عاقرا، إلا أنه لم ينهزم أما المقصد العظيم، وهو أن يكون له ولد ولي ينشر علم النبوة، والأسباب المادية معدومة أمامه، فالتمس بعزم منه وسيلة أخرى لتحقيق المقصد والمراد، ألا وهي الدعاء المخلص الخفي لمن يملك الأسباب ومسبباتها، ومن يقول للشيء كن في يكون فلا شيء يعجزه، وهنا سنعرض بعض اللقطات من قصص الأنبياء لابن كثير بتصرف واختصار فقد تكلمنا عن هذه القصة في الفصل الأول، إليك بعض لقطاته:

ذكر بعض السلف: أن زكريا عليه السلام قام من الليل فنادى ربه مناداة أسرها عمن كان حاضرا عنده مخافتة فقال: يا رب يا رب يا رب. فقال الله: لبيك لبيك لبيك.

{قال رب إني وهن العظم مني}، أي ضعف وخار من الكبر {واشتعل الرأس شيبا}، استعارة من اشتعال النار في الحطب أي غلب على سواد الشعر شيبه، ثم ذكر أن الله كان به حفيا لا يرد له دعاء، وما عهد مع الدعاء شقاء فقال: {ولم أكن بدعائك رب شقيا}، أي ما عودتني فيما أسألك إلا الإجابة.

ثم بين ابن كثير الدافع الذي بعثه على الدعاء مع انعدام الأسباب المادية لوهب الولد؛ أنه رأى الكرامة مع مريم في وجود الفاكهة في غير أوانها وهذا شيء غير معهود فقال: لما رأى زكريا عليه السلام أن الله يرزق مريم عليها السلام فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء، طمع حينئذ في الولد وكان شيخا كبيرا قد وهن منه العظم واشتعل الرأس شيبا، وكانت امرأته مع ذلك كبيرة وعاقرا، لكنه مع هذا كله سأل ربه وناداه نداء خفيا، وقال رب هب لي من لدنك أي من عندك ذرية طيبة أي ولدا صالحا إنك سميع الدعاء وقوله: {وإني خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقرا}.[1]

***

(١) تفسير القرآن العظيم (ابن كثير)، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: محمد حسين شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٩ هـ (٢/ ٣١).

المبحث الثاني: إحسان الظن بالله – خوارق العادات

١-قال تعالى: {فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا، قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا، وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا، وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا، وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا} [مريم: ٢٩-٣٣].

في هذه الآيات يبرز حسن الظن بالله من قبيل مريم عليها السلام، حيث وبخها قومها بعيسى عليه السلام، واتهموها فيه؛ فأحسنت الظن بالله في تبرئتها فأشارت إليه بثقة بالله أنه لن يخيبها، فكانت الخارقة أن عيسى تكلم بالمهد صبيا، وقد بين الظاهر بن عاشور هذه المعجزة المؤيدة لها فقال:

أي أشارت إليه إشارة دلّت على أنها تُحيلهم عليه ليسألوه عن قصته، أو أشارت إلى أن يسمعوا منه الجواب عن توبيخهم إياها وقد فهموا ذلك من إشارتها.

ولما كانت إشارتها بمنزلة مراجعة كلام حكى حِوارهم الواقع عقب الإشارة بجملة القول مفصولةً غير معطوفة.

والاستفهام: إنكار؛ أنكروا أن يكلموا من ليس من شأنه أن يتكلم، وأنكروا أن تحيلهم على مكالمته، أي كيف نترقب منه الجواب أو كيف نلقي عليه السؤال، لأن الحالتين تقتضيان التكلم.

وزيادة فعل الكون في مَن كَان في المَهدِ للدلالة على تمكن المظروفية في المهد من هذا الذي أحيلوا على مكالمته، وذلك مبالغة منهم في الإنكار، وتعجب من استخفافها بهم.[١]

---

(١) – التحرير والتنوير الطبعة التونسية، لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، دار النشر: دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس – ١٩٩٧ م، (٩٧/١٦).

فأشارت إليه، أي إلي عيسى وإنما اكتفت بالإشارة، ولم تأمره بالنطق؛ لأنها نذرت للرحمن صوما عن الكلام، كما تقدم هذا على تقدير أنها كانت إذ ذاك في أيام نذرها، وعلى تقدير أنها قد خرجت من أيام نذرها، فيمكن أن يقال أن اقتصارها على الإشارة للمبالغة في إظهار الآية العظيمة، وأن هذا المولود يفهم الإشارة ويقدر على العبارة، قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا، هذا الاستفهام للإنكار والتعجب من إشارتها إلى ذلك المولود بأن يكلمهم، قال أبوعبيدة في الكلام حشو زائد والمعنى كيف نكلم صبيا في المهد كقول الشاعر وجيران لنا كانوا كراما.

وقال الزجاج الأجود أن تكون من في معنى الشرط والجزاء، والمعنى من يكون في المهد صبيا فكيف نكلمه ورجحه ابن الأنباري، وقال لا يجوز أن يقال إن كان زائدة وقد نصبت صبيا، ويجاب عنه بأن القائل بزيادتها يجعل الناصب له الفعل وهو نكلم كما سبق تقديره، وقيل إن كان هنا هي التامة التي بمعنى الحدوث والوجود ورد بأنها لو كانت تامة لاستغنت عن الخبر، والمهد هو شيء معروف يتخذ لتنويم الصبى والمعنى كيف نكلم من سبيله أن ينوم في المهد؛ لصغره وقيل هو هنا حجر الأم، وقيل سرير كالمهد فلما سمع عيسى كلامهم، قال إني عبد الله، فكان أول ما نطق به الاعتراف بالعبودية له، آتاني الكتاب، أي الإنجيل أي حكم لي بإيتائي الكتاب والنبوة في الأزل، وإن لم يكن قد نزل عليه في تلك الحال، ولا قد صار نبيا وقيل إنه آتاه الكتاب وجعله نبيا في تلك الحال وهو بعيد.

وجعلني مباركا أين ما كنت، أي حيثما كنت والبركة أصلها من بروك البعير والمعنى جعلني ثابتا في دين الله وقيل البركة هي الزيادة والعلو فكأنه قال جعلني في جميع الأشياء زائدا عاليا منجحا وقيل معنى المبارك النفاع للعباد

وقيل المعلم للخير وقيل الآمر بالمعروف الناهي عن المنكر.(١)

٢-قال تعالى: {قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا، وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا، فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا، وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا}[مريم:٤٧-٥٠].

إبراهيم لما أمره أبوه بان يهجره مليا، ما تزلف ولا تنازل عن دعوته، وعلم الله أن الله سيجيب دعاءه ويهبه الأهل والأولاد ليؤنسوا وحشته، وقد فصل هذا القرطبي فقال: قوله: {سأستغفر لك ربي}، وارتفع السلام بالابتداء، وجاز ذلك مع نكرته لأنه نكرة مخصصة فقربت المعرفة، قوله تعالى: {إنه كان بي حفيا}: الحفي المبالغ في البر والإلطاف، يقال: حفي به وتحفى إذا بره، وقال الكسائي يقال: حفي بي حفاوة وحفوة، وقال الفراء: {إنه كان بي حفيا}، يجيبني إذا دعوته، قوله تعالى: {وأعتزلكم}، العزلة المفارقة وقوله: {عسى ألا أكون بدعاء ربي شقيا}، قيل: أراد بهذا الدعاء أن يهب الله تعالى له أهلا وولدا يتقوى بهم حتى لا يستوحش بالاعتزال عن قومه، ولهذا قال: {فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له إسحاق ويعقوب}، أي آنسنا وحشته بولد، عن ابن عباس وغيره، وقيل:{عسى} يدل على أن العبد لا يقطع بأنه يبقى على المعرفة أم لا في المستقبل، وقيل: دعا لأبيه بالهداية. ف{عسى} شك لأنه كان لا يدري هل يستجاب له فيه أم لا؟ والأول أظهر، وقوله: {وجعلنا لهم لسان صدق عليا}، أي أثنينا عليهم ثناء حسنا، لأن جميع الملل تحسن الثناء عليهم. واللسان يذكر ويؤنث.(٢)

***

(١) - فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار النشر : دار الفكر - بيروت (/٣٣٢).

(٢) - تفسير القرطبي (١١٣/١١).

المبحث الثالث: ثمرة الطاعة

١-قال تعالى: **{إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا، جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا، لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا، تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا} [مريم:٦٠].**

في هذه الآيات ثمرة الطاعة من التوبة مشروطة الإيمان والعمل الصالح واضحة وعظمى وهذه الثمرة أخروية من دخول الجنة والعدل في الجزاء والعطاء على الحسنات، ووصف الجنة التي وعد بها أهل الإيمان بأنها لا منغص فيها ولا كدر، وقد فصل في هذا القرطبي في تفسيره فقال: قوله تعالى: {إِلَّا مَنْ تَابَ}، أي من تضييع الصلاة واتباع الشهوات فرج ع إلى طاعة ربه، {وآمن} به{وعمل صالحا فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا}، أي لا ينقص من أعمالهم الصالحة شيئا إلا أنهم يكتب لهم بكل حسنة عشر إلى سبعمائة.

{جنات عدن} بدلا من الجنة فانتصبت؛ لأن قبله" يدخلون الجنة".

{التي وعد الرحمن عباده بالغيب}، أي من عبده وحفظ عهده بالغيب وقيل: آمنوا بالجنة ولم يروها.

{إنه كان وعده مأتيا}، مأتيا مفعول من الإتيان، وكل ما وصل إليك فقد وصلت إليه تقول: أتت علي ستون سنة وأتيت على ستين سنة، ووصل إلي من فلان خير ووصلت منه إلى خير، وقال القتبي: " مأتيا" بمعنى آت فهو مفعول بمعنى فاعل، و" مأتيا" مهموز لأنه من أتى يأتي، ومن خفف الهمزة جعلها ألفا، وقال الطبري: الوعد هاهنا الموعود وهو الجنة أي يأتيها أولياؤه.

{لا يسمعون فيها لغوا} أي في الجنة، واللغو معناه الباطل من الكلام والفحش منه والفضول وما لا ينتفع به، ومنه الحديث: "إذا قلت لصاحبك يوم

الجمعة أنصت والإمام يخطب فقد لغوت"[1]، قال ابن عباس: اللغو كل ما لم يكن فيه ذكر الله تعالى أي كلامهم في الجنة حمد الله وتسبيحه.

{إلا سلاما}، أي لكن يسمعون سلاما فهو من الاستثناء المنقطع يعني سلام بعضهم على بعض وسلام الملك عليهم قاله مقاتل وغيره، والسلام اسم جامع للخير والمعنى أنهم لا يسمعون فيها إلا ما يحبون. قوله تعالى: {ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا}، أي لهم ما يشتهون من المطاعم والمشارب بكرة وعشيا أي في قدر هذين الوقتين إذ لا بكرة ثم ولا عشيا كقوله تعالى:{غدوها شهر ورواحها شهر}، أي قدر شهر، قال معناه ابن عباس وابن جريج وغيرهما، وقيل: عرفهم اعتدال أحوال أهل الجنة وكان أهنأ النعمة عند العرب التمكين من المطعم والمشرب بكرة وعشيا، قال يحيى بن أبي كثير وقتادة كانت العرب في زمانها من وجد غداء وعشاء معا فذلك هو الناعم فنزلت، وقيل: أي رزقهم فيها غير منقطع كما قال: {لا مقطوعة ولا ممنوعة} كما تقول: أنا أصبح وأمسي في ذكرك، أي ذكري لك دائم، ويحتمل أن تكون البكرة قبل تشاغلهم بلذاتهم والعشي بعد فراغهم من لذاتهم لأنه يتخللها فترات انتقال من حال إلى حال، وهذا يرجع إلى القول الأول، وروى الزبير بن بكار عن إسماعيل بن أبي أويس قال: قال مالك بن أنس: طعام المؤمنين في اليوم مرتان وتلا قول الله عز وجل: {ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا} ثم قال: وعوض الله عز وجل المؤمنين في الصيام السحور بدلا من الغداء ليقووا به على عبادة ربهم، وقيل: إنما ذكر ذلك لأن صفة الغداء وهيئته غير صفة العشاء وهيئته، وهذا لا يعرفه إلا الملوك، وكذلك يكون في الجنة رزق الغداء غير رزق العشاء تتلون عليهم النعم ليزدادوا تنعما وغبطة، وخرج الترمذي الحكيم في "نوادر الأصول" من

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الجمعة، باب الإنصات يوم الجمعة والخطيب يخطب (١٣/٢) ح(٩٣٤) ، ومسلم في صحيحه: كتاب الجمعة، باب في الإنصات يوم الجمعة في الخطبة (٥٨٣/٢) ح(٨٥١).

حديث أبان عن الحسن وأبي قلابة قالا قال رجل: يا رسول الله هل في الجنة من ليل؟ قال وما هيجك على هذا قال سمعت الله تعالى يذكر في الكتاب:{ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا}، فقلت: الليل بين البكرة والعشي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ليس هناك ليل إنما هو ضوء ونور يرد الغدو على الرواح والرواح على الغدو وتأتيهم طرف الهدايا من الله تعالى لمواقيت الصلاة التي كانوا يصلون فيها في الدنيا وتسلم عليهم الملائكة، وهذا في غاية البيان لمعنى الآية، وقال العلماء: ليس في الجنة ليل ولا نهار وإنما هم في نور أبدا إنما يعرفون مقدار الليل من النهار بإرخاء الحجب وإغلاق الأبواب ويعرفون مقدار النهار برفع الحجب وفتح الأبواب، ذكره أبو الفرج الجوزي والمهدوي وغيرهما.(١)

٢-قال تعالى: {ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا} [مريم: ٦٧].

من ثمرات العمل الصالح النجاة من النار والورود عليها إلا تحلة القسم، وقد فصل في هذا الأمام ابن جرير في تفسيره: {ثم ننجي الذين اتقوا}، أي نبعدهم عن عذاب جهنم، وقيل: ورود جهنم هو الجواز على الصراط الممدود عليها، وقيل: الورود: الدخول، فالمؤمنون يدخلون النار من غير خوف وضرر ألبتة، بل مع الغبطة والسرور، {كانَ عَلى رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيًّا}، أي كان ورودهم إياها أمرا محتوما أوجبه الله تعالى على ذاته، {ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا} من الكفر والمعاصي، أي نخرجهم منها، فلا يخلدون بعد أن أدخلوا فيها، وإنما دخلوا لهم فيها؛ ليشاهدوا العذاب؛ ليصير ذلك سببا لمزيد التذاذهم بنعيم الجنة، و{نَذَرُ الظَّالِمِينَ}، بالكفر والمعاصي فِيها أي جهنم جِثِيًّا أي منهارا بهم.(٢)

---

(١) - تفسير القرطبي ((١١/١٢١-١٢٧).

(٢) - مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد، لمحمد بن عمر نووي الجاوي البنتني إقليما، التناري بلدا (المتوفى: ١٣١٦هـ)، المحقق: محمد أمين الصناوي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٧ هـ (٢/١٦).

٣-قال تعالى: {... وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا} [مريم:٧٦].

من ثمرات الطاعة زيادة الهداية والبصيرة في الدين، والزيادة في العمل الصالح، والمتعة فيها وهذه ثمرات دنيوية، وقد ذكر الماوردي لزيادة الهداية ثلاث وجوه: أحدهما: يزيدهم هدى بالمعونة في طاعته والتوفيق لمرضاته، الثاني: الإيمان بالناسخ والمنسوخ، قاله الكلبي ومقاتل، فيكون معناه: ويزيد الله الذين اهتدوا بالمنسوخ هدى بالناسخ، ويحتمل ثالثاً: ويزيد الله الذين اهتدوا إلى طاعته هدى إلى الجنة. (١)

وبين معنى زيادة الذين اهتدوا هدى وفسر الباقيات الصالحات ابن عطية الأندلسي فقال: أنهم يزيدهم هُدىً في الارتباط إلى الأعمال الصالحة والمعرفة بالدلائل الواضحة، وزيادة العلم دأبا، قال الطبري: عن بعضهم المعنى بناسخ القرآن ومنسوخه، وهذا مثال.

وقوله: {وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ} إشارة إلى ذلك الهدى الذي يزيدهم الله تعالى أي وهذه النعم على هؤلاء خَيْرٌ عند الله ثَواباً وخير مرجعا، والقول في زيادة الهدى سهل بين الوجوه، وأما الْباقِياتُ الصَّالِحاتُ فقال بعض العلماء هو كل عمل صالح يرفع الله به درجة عامله، وقال الحسن: هي "الفرائض"، وقال ابن عباس: هي "الصلوات الخمس" وروي عن النبي عليه السلام "أنها الكلمات المشهورات سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر"(٢)، وقد فصلنا معنى الباقيات الصالحات في الفصل الأول بما يغني عن أعادته.

---

(١) – النكت والعيون، لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان (٣/٣٨٧).

(٢) تفسير ابن كثير ط العلمية (١/ ٤٤).

٤-قال تعالى: {أَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا} [مريم:٩٦].

من ثمرات الطاعة، الحب لأهل السماوات والقبول في الأرض، وهذه ثمرات دنيوية، فعن مجاهد {سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا} قال: يحبهم ويحببهم إلى المؤمنين، عن ابن عباس، قال: يحبهم ويحببهم، وعن قتادة، في قوله {سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا}، قال: ما أقْبل عبد إلى الله إلا أقْبل الله بقلوب العباد إليه، ذُكر لنا أن هرم بن حيان كان يقول: ما أقبل عبد بقلبه إلى الله، إلا أقبل الله بقلوب المؤمنين إليه، حتى يرزقه مودّتهم ورحمتهم.(١)

وأكد هذا المعنى السمعاني فقال: وقد ثبت عن النبي برواية أبي هريرة أنه قال: "إذا أحب الله عبدا ينادي جبريل، فيقول: أنا أحب فلانا فأحبه، فينادي في أهل السماء: إن الله يحب فلانا فأحبوه، ثم يوضع له المحبة في الأرض – وفي رواية القبول – وإذا أبغض عبدا ينادي جبريل فيقول: أنا أبغض فلانا فأبغضه، فينادي في أهل السماء: إن الله يبغض فلانا فأبغضوه، ثم يوضع له البغض في الأرض".(٢)

وحكى الضحاك عن ابن عباس: أن الآية نزلت في علي بن أبي طالب رضي الله عنه، والمراد منه: مودة أهل الإيمان له.(٣)

---

(١) – جامع البيان في تأويل القرآن، لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م (٢٦٢/١٨).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة (٤/ ١١١) ح(٣٢٠٩) ، ومسلم في صحيحه: كتاب البر والصلة والآداب، باب إذا أحب الله عبدا (٤/ ٢٠٣٠) ح(٢٦٣٧).

(٣) – تفسير القرآن، لأبي المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: ٤٨٩هـ)، المحقق: ياسر بن إبراهيم=

ويقول القرطبي: عن الضحاك عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه : "إن الله أعطى المؤمن الألفة، والملاحة والمحبة في صدور الصالحين والملائكة المقربين- ثم تلا-: {إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا}، واختلف فيمن نزلت فقيل في علي رضي الله تعالى عنه روى البراء بن عازب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي بن أبي طالب:"قل يا علي اللهم اجعل لي عندك عهدا واجعل لي في قلوب المؤمنين مودة" فنزلت الآية ذكره الثعلبي، وقال ابن عباس: نزلت في عبد الرحمن ابن عوف جعل الله تعالى له في قلوب العباد مودة لا يلقاه مؤمن إلا وقره لا مشرك ولا منافق إلا عظمه.[1]

***

=وغنيم بن عباس بن غنيم، الناشر: دار الوطن، الرياض – السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م (٣/٣١٦).

[1] – تفسيرالقرطبي (١١/١٦١).

الخاتمة وأهم النتائج من البحث

كان هذا البحث متخصصا لإبراز بعض المقاصد لهذه السورة المكية الكريمة، و التي حوت بعضا من المقاصد المهمة المتعلقة بعقيدة المسلم وعبادته وطاعته فكانت النتائج كالآتي:

١-أن من مقاصد التوحيد المهمة عدم الشرك بالله تعالى، ونفي الولد عنه.

٢-أن البعث والنشور ومجازاة العباد وحسابهم أمر ثابت لا مرية فيه كما بدأ الخلق يعيده.

٤-أن الله على كل شيء قدير وقدرته مطلقة كما خلق أدم من تراب خلق عيسى من غير أب.

٥-أن الأسباب منها أسباب مادية وأسباب معنوية توفيقية، والله مسبب الأسباب وخالقها، فقد وهب لزكريا الولد مع عدم توفر الأسباب المادية لوهب الولد.

٦-أن للطاعة ثمرات دنيوية وأخروية.

٧- تلقي العقيدة من الكتاب والسنة فكل ما أثبته الله لنفسه، أو ثبته له نبيه صلى الله عليه وسلم يثبت، وكلما نفاه عن نفسه، أو نفاه عنه نبي صلى الله عليه وسلم ينفى.

٨-ألا نرتاب في البعث والنشور لأنه أهون من بدأ الخلق.

٩-أن نؤمن بأن الله قدرته شاملة كاملة لا يعجزه شيء يخلق ما يشاء مما شاء.

١٠-أن الأخذ بالأسباب المادية لا ينافي عقيدة التوكل علي الله تعالى.

١١-أن نؤمن بأن الطاعة لله لها ثمرات دنيوية وأخروية.

التوصيات لهذا البحث، منها:

- إقامة مؤتمرات وندوات تبرز الجانب المقاصدي في القرآن الكريم.
- تدريس مقررات تهتم بجانب المقاصد القرآنية.
- لفت الأنظار إلى الإعجاز القرآني من خلال مقاصد السور القرآنية.

المراجع

القرآن الكريم

١- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين بن محمد المختار ابن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان، عام النشر: ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ مـ.

٢- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، لناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر ابن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ)، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر:دار إحياء التراث العربي–بيروت، الطبعة: الأولى١٤١٨ هـ.

٣- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أبي العباس أحمد بن محمد ابن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (المتوفى: ١٢٢٤هـ)، المحقق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة، الطبعة: ١٤١٩ هـ.

٤- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ.

٥- التعليق على تفسير القرطبي، لأبي عبد الله محمد بن أحمد، شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، الشارح: عبد الكريم بن عبد الله بن عبد الرحمن ابن حمد الخضير، دروس مفرغة من موقع الشيخ الخضير.

٦- تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٧- تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل، لعلاء الدين علي ابن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن، دار النشر: دار الفكر - بيروت / لبنان - ١٣٩٩ هـ /١٩٧٩ م.

٨- تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: محمد حسين شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٩ هـ.

٩- تفسير القرآن، لأبي المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: ٤٨٩هـ)، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، الناشر: دار الوطن، الرياض - السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

١٠- تفسير القرطبي، أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.

١١- تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، لأبي البركات عبد الله ابن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.

١٢- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن بن ناصر ابن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م.

١٣- جامع البيان في تأويل القرآن، لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير ابن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

١٤- الجامع الصحيح المختصر (صحيح البخاري)، لمحمد بن إسماعيل أبوعبد الله البخاري الجعفي، الناشر: دار ابن كثير، اليمامة - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧ - ١٩٨٧م، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة - جامعة دمشق.

١٥- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، المحقق: علي عبدالباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة: الأولى ١٤١٥هـ.

١٦- روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد ابن حنبل، المؤلف: أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد ابن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٢٠هـ)، الناشر: مؤسسة الريّان للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

١٧- زاد المسير في علم التفسير، لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ابن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ.

١٨- سنن ابن ماجه، لابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: ٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي.

١٩- صحيح مسلم، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، المتوفى:٢٦١هـ، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الجيل- بيروت، الطبعة: مصورة من الطبعة التركية المطبوعة في استانبول سنة ١٣٣٤ هـ.

٢٠- غرائب التفسير وعجائب التأويل، لمحمود بن حمزة بن نصر، أبي القاسم برهان الدين الكرماني، ويعرف بتاج القراء (المتوفى: نحو ٥٠٥هـ)، دار النشر: دار القبلة للثقافة الإسلامية - جدة، مؤسسة علوم القرآن - بيروت.

٢١- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، لمحمد ابن علي بن محمد الشوكاني، دار النشر: دار الفكر - بيروت.

٢٢- القاموس المحيط، لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

٢٣- قصص الأنبياء، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، الناشر: مطبعة دار التأليف - القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م.

٢٤- محاسن التأويل، لمحمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ)، المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلميه - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٨هـ.

٢٥- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبي محمد عبد الحق ابن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ.

٢٦- مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد، لمحمد بن عمر نووي الجاوي البنتني إقليما، التناري بلدا (المتوفى: ١٣١٦هـ)، المحقق: محمد أمين الصناوي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٧ هـ.

٢٧- المستصفى في علم الأصول، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، المحقق: محمد بن سليمان الأشقر، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة : الأولى، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

٢٨- مسند الإمام أحمد بن حنبل، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل ابن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م.

٢٩- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، لأحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ)، الناشر: المكتبة العلمية – بيروت.

٣٠- ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، لأحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر (المتوفى: ٧٠٨هـ)، وضع حواشيه: عبد الغني محمد علي الفاسي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

٣١- الموافقات، لإبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: ٧٩٠هـ)، المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر: دار ابن عفان، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

٣٢- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ)، دار النشر: دار

الكتب العلمية – بيروت – ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي.

٣٣- النكت والعيون، لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، المحقق: السيد ابن عبدالمقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان.

SOURCE AND REFERENCES

The Holy Quran

1-the lights of the statement in the explanation of the Quran by the Quran, by Mohammed Al-Amin bin Mohammed al-Mukhtar Ibn Abdulkader Al-jikni Al-Shanqiti (deceased: 1393 Ah), publisher: Dar Al – Fikr for printing, publishing and distribution Beirut - Lebanon, year of publication: 1415 Ah-1995 ad.

2-Download lights and secrets of interpretation, by Naser al-Din Abu said Abdullah Bin Omar ibn Muhammad al-Shirazi Al-baydawi (deceased: 685 Ah), investigator: Muhammad Abdul Rahman Al – marashli, publisher: House of revival of Arab heritage - Beirut, first edition-1418 Ah.

3-the long sea in the interpretation of the glorious Quran, Abu al – Abbas Ahmad ibn Muhammad ibn al-Mahdi Ibn ajiba Al-Hassani Al-Anjari Al-Fasi Sufi (deceased: 1224 Ah), investigator: Ahmed Abdullah Al-Qurashi Ruslan, publisher: Dr. Hassan Abbas Zaki-Cairo, edition: 1419 Ah.

4-liberation and enlightenment "liberation of the sound meaning and enlightenment of the new mind from the interpretation of the glorious book", by Mohammed Al – Taher Bin Mohammed bin Mohammed Al-Taher Bin Ashour al-Tunisi (deceased: 1393 Ah), publisher: Tunisian publishing house-Tunisia, year of publication: 1984 Ah.

5-commentary on the interpretation of al-Qurtubi, by Abu Abdullah Muhammad bin Ahmed, Shams al-Din al-Qurtubi (d.671 ah), the annotator: Abdul Karim bin Abdullah bin Abdul Rahman Ibn Hamad Al-Khudair, vicious lessons from the site of Sheikh Al-Khudair.

6-Tafsir Abu Al-Saud = guidance of the sound mind to the advantages of the holy book, by Abu Al – Saud Al-Emadi Muhammad ibn Muhammad ibn Mustafa (deceased: 982 Ah), publisher: House of revival of Arab heritage-Beirut.

7 - Al - Khazen's interpretation of the chapter of interpretation in the meanings of downloading, by Aladdin Ali ibn Muhammad ibn Ibrahim

al-Baghdadi, the famous Al-Khazen, publishing house: Dar Al-Fikr-Beirut / Lebanon-1399 Ah /1979 ad.
8-interpretation of the great Qur'an, by Abu al – Fida Ismail Ibn Omar Ibn Kathir al - Qurashi al-Basri and then Al-damashki (deceased: 774 Ah), investigator: Muhammad Hussein Shams al-Din, publisher: House of scientific books, publications of Muhammad Ali baydun-Beirut, first edition-1419 Ah.
9-interpretation of the Qur'an, by Abu al – Muzaffar, Mansur bin Muhammad Bin Abdul - Jabbar Ibn Ahmad Al-maruzi Al-Samani Al-Tamimi Hanafi and then Al-Shafi'i (deceased: 489 Ah), investigator: Yasser bin Ibrahim and Ghoneim bin Abbas bin Ghoneim, publisher: Dar Al-Watan, Riyadh-Saudi Arabia, first edition, 1418 Ah-1997 ad.
10-interpretation of al-Qurtubi, Abu Abdullah Muhammad ibn Ahmad ibn Abi Bakr Ibn Farah Al-Ansari Al-Khazraji Shams al-Din al-Qurtubi (deceased: 671 Ah), investigation: Ahmed Al – bardoni and Ibrahim atfishh, publisher: Egyptian Book House - Cairo, second edition, 1384 Ah-1964 ad.
11-nasafi's interpretation (download knowledge and interpretation facts), by Abu al - Barakat Abdullah ibn Ahmad ibn Mahmoud Hafiz al-Din nasafi (deceased: 710 ah), achieved and published by: Yusuf Ali Badawi, reviewed and presented by: Muhyiddin Deb Masto, publisher: Dar Al-Kalm al-Tayeb, Beirut, first edition, 1419 Ah-1998 ad.
12 - facilitating the generous Rahman in the interpretation of the words of Mannan, by Abdul Rahman bin Nasser ibn Abdullah Al-Saadi (deceased: 1376 Ah), investigator: Abdul Rahman bin Mualla Al-luwaihq, publisher: the message foundation, first edition: 1420 Ah-2000 AD.
13 - the collector of the statement on the interpretation of the Koran, by Muhammad Bin Jarir bin Yazid bin Kathir Ibn Ghalib Al - Amli, Abu Jafar al-Tabari (d.: 310 Ah), investigator: Ahmed Mohammed Shaker, publisher: the message foundation, first edition, 1420 Ah-2000 AD.
14-the brief correct mosque (Sahih al-Bukhari), by Muhammad Bin Ismail Abu Abdullah Al-Bukhari Al-jaafi, publisher: Dar Ibn Kathir, al-Yamamah-Beirut, third edition, 1407-1987, investigation: Dr. Mustafa Deeb Al-Bagha is a professor of Hadith and its Sciences at the Faculty of Sharia - Damascus University.
15-the spirit of meanings in the interpretation of the great Quran and the seven muthani, by Shihab al– Din Mahmoud bin Abdullah al-Husseini al-Alusi (deceased: 1270 Ah), investigator: Ali Abdulbari Attiya, publisher: House of scientific books-Beirut, first edition: 1415 Ah.
16-The Kindergarten of the Nazir and the paradise of views on the origins of jurisprudence on the doctrine of Imam Ahmad ibn Hanbal, author: Abu Muhammad Muwaffaq al-Din Abdullah bin Ahmad Bin Muhammad ibn Qudamah al-jamaili al-Maqdisi and then the Hanbali Damascene, famous for Ibn Qudamah al-Maqdisi (deceased: 620 Ah), publisher: Al-Rayyan foundation for printing, publishing and distribution, edition: second edition 1423 Ah-2002 ad.

17-Zad Al-massir in the science of interpretation, by Jamal al-Din Abu Al-Faraj Abdul Rahman ibn Ali ibn Muhammad al-Jawzi (d.: 597 Ah), publisher: Islamic Bureau – Beirut, third edition, 1404 Ah.
18-the age of Ibn Majah, for the son of Majah Abu Abdullah Muhammad ibn Yazid Al-Qazwini, and Majah is the name of his father Yazid (deceased: 273 Ah), Investigation: Muhammad Fuad Abdul Baqi, publisher: House of revival of Arabic books - Faisal Isa Al-Babi al-Halabi.
19-Sahih Muslim, by Abu al-Husayn Muslim Ibn Al-Hajjaj al-qushairi Al-nisaburi, deceased:261 Ah, investigator: a group of investigators, publisher: Dar Al– Jil-Beirut, edition: illustrated from the Turkish edition printed in Istanbul in 1334 Ah.
20-the oddities of interpretation and the wonders of interpretation, by Mahmoud bin Hamza bin Nasr, Abu Al - Qasim Burhanuddin Al – Karmani, known as the crown of readers (deceased: about 505 Ah), publishing house: Dar Al-Qibla for Islamic culture-Jeddah, foundation of Quranic Sciences-Beirut.
21 – the Almighty opened the University between the art of the novel and the know-how of the science of interpretation, by Muhammad ibn Ali ibn Muhammad al-shawkani, publishing house: Dar Al-Fikr-Beirut.
22-the surrounding dictionary, by Majd al-Din Abu Taher Muhammad Bin Yaqub Al-fairuzabadi (deceased: 817 Ah), investigation: heritage Investigation Office at the Resalah Foundation, under the supervision of: Mohammed Naim al – arqsusi, publisher: Resalah foundation for printing, publishing and distribution, Beirut - Lebanon, edition: eighth, 1426 Ah-2005 ad.
23-stories of the prophets, by Abu al-Fida Ismail Ibn Omar Ibn Kathir al-Qurashi al-Basri and then Al-damashki (deceased: 774 Ah), investigation: Mustafa Abdel Wahed, publisher: Printing House of authorship – Cairo, first edition, 1388 Ah - 1968 ad.
24-the beauty of interpretation, by Muhammad Jamal al-Din bin Muhammad Said Bin Qasim al-Hallaq Al-Qasimi (deceased: 1332 Ah), investigator: Muhammad basil Oyoun Al – sudood, publisher: House of scientific books - Beirut, first edition-1418 Ah.
25-the brief editor in the interpretation of the Dear Book, Abu Muhammad Abdul Haq Ibn Ghalib bin Abdul Rahman bin Tamam bin Attiyah Andalusi warrior (deceased: 542 Ah), investigator: Abdus Salam Abdul Shafi Muhammad, publisher: House of scientific books – Beirut, first edition - 1422 Ah.
26-Merah Labaid to reveal the meaning of the glorious Quran, by Muhammad ibn Umar Nawawi Al – Jawi Al - Bintani, Al-tanari balada (deceased: 1316 Ah), investigator: Muhammad Amin al-Sanawi, publisher: House of scientific books-Beirut, first edition-1417 Ah.
27 - the hospital in the science of Origins, by Abu Hamid Mohammed bin Mohammed Al-Ghazali al-Tusi (deceased: 505 Ah), investigator:

Mohammed bin Suleiman Al-Ashqar, publisher: Al-Risala Foundation, Beirut, Lebanon, First Edition, 1417 Ah/1997 ad.
28-the Musnad of Imam Ahmed bin Hanbal, by Abu Abdullah Ahmed bin Mohammed bin Hanbal Ibn Hilal Bin Asad Al-Shaibani (deceased: 241 Ah), investigator: Shoaib Al - Arnout - Adel Murshed, and others, supervision: Dr. Abdullah bin Abdul Mohsen al-Turki, publisher: Al-Risala foundation, first edition, 1421 Ah-2001 ad.
29 – the illuminating lamp in Gharib Al-Sharh al-Kabir, by Ahmad ibn Muhammad ibn Ali al-fayumi and then Al-Hamwi, Abu al-Abbas (deceased: about 770 Ah), publisher: Scientific Library-Beirut.
30-the author of the categorical interpretation of atheism and obstruction in the direction of the similar-worded download, by Ahmad ibn Ibrahim ibn al-Zubayr Al-Thaqafi Al-gharnati, Abu Ja'far (deceased: 708 Ah), annotated by: Abdul Ghani Muhammad Ali al – Fasi, publisher: House of scientific books, Beirut-Lebanon.
31-approvals, by Ibrahim bin Musa bin Mohammed Al-Lakhmi Al-gharnati, famous for Al-shatibi (deceased: 790 Ah), investigator: Abu ubayda famous bin Hassan Al-Salman, publisher: Dar ibn Affan, edition: first edition 1417 Ah/ 1997 ad.
32-organizing the lessons in the proportion of verses and surahs, by Ibrahim Bin Omar Bin Hassan Rabat bin Ali bin Abi Bakr al - Baqai (deceased: 885 Ah), Publishing House: House of scientific books – Beirut - 1415 Ah-1995 ad, investigation: Abdul Razzak Ghaleb al-Mahdi.
33-jokes and eyes, by Abu al - Hassan Ali bin Muhammad Bin Muhammad bin Habib al-Basri al-Baghdadi, famous as Al-Mawardi (deceased: 450 Ah), investigator: Mr. Ibn Abdul Maqsud bin Abdul Rahim, publisher: House of scientific books-Beirut / Lebanon.

فهرس الموضوعات

رقم	الموضوع	رقم الصفحة
١	الملخص باللغة العربية.	٢٥٥٨
٢	ABSTRACT	٢٥٥٩
٣	المقدمة.	٢٥٦٠
٤	الفصل الأول: مقاصد السورة، ويشتمل على مباحث:	٢٥٦٤
٥	المبحث الأول: مقاصد الشريعة	٢٥٦٥
٦	المبحث الثاني: مقاصد التوحيد	٢٥٦٦
٧	المبحث الثالث: الرغبة والرهبة في إثبات البعث والنشور	٢٥٧٥
٨	المبحث الرابع: بذل الأسباب لتحقيق التوكل على الله	٢٥٨٨
٩	المبحث الخامس: هلاك الأمم السابقة	٢٥٩٤
١٠	الفصل الثاني: بشارات الله تعالى، وفيه مباحث:	٢٥٩٧
١١	المبحث الأول: على قدر أهل العزم تأتي العزائم (الذرية الصالحة)	٢٥٩٨
١٢	المبحث الثاني: إحسان الظن بالله – خوارق العادات	٢٦٠٠
١٣	المبحث الثالث: ثمرة الطاعة	٢٦٠٣
١٤	الخاتمة: وبها أهم نتائج البحث.	٢٦٠٩
١٥	المراجع.	٢٦١٠
١٦	فهرس الموضوعات.	٢٦١٩

تم بحمد الله تعالى